دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم

دراسة تداوليَّة

إعداد

د/ إسلام أبو النصر علي حسيبة

أستاذ النحو والصرف المساعد

بكلية الآداب - جامعة السويس

المستخلص:

هذا البحث قارب دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم مقاربة تداوليَّة؛ وذلك بهدف الربط بين التراث نصًّا والحداثة إجراءً، لا سيما وأنَّ النص أيًا كان يتسم بالثبات والاستقرار، وأنَّ الذي يتحول ويتجدد في صيرورة لا تتوقف هو المنهج الإجرائيّ الذي يُختار لأن يُقارب به نص من النصوص قديمًا كان أو حديثًا.

وقد اتَّبعت الدراسة المنهج التداوليّ معتمدة على التحليل والاستقصاء بغية الوصول إلى نتائج علميَّة محدَّدة، ومن ثمَّ اشتمل البحث على مقدمة وخاتمة، بينهما قسمان: أوَّلهما نظريٌّ عُنِيَ ببيان مفهوم كلٍّ من التداوليَّة والفعل الكلاميّ والدعاء، والقسم الآخر إجرائيٌّ فيه مبحثان: أوَّلهما عالج المناسبة في الأدعية القرآنيَّة التي دعا بها أولو العزم من الرسل، والمبحث الآخر تناول بالتحليل مقاصد دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم.

وأسفر البحث عن النتيجتين التاليتين:

١- اختلاف مصطلح الدعاء عن كثير من المصطلحات التي يُظن أنَّها مرادفة له كالنداء والسؤال والذكر والأمر والنهي.

٢- التوصُّل إلى سمات الدعاء التداوليَّة المستخلصة من دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: دعاء الرسل، الدعاء القرآنيّ، تداوليَّة.

Abstract:

This research examines the Quranic supplication of the messengers of resolution in a pragmatic manner with the aim of linking heritage as text with modernity as procedure, especially since any text is characterised by stability and constancy, and what transforms and gets renewed in an uninterrupted process is the procedural approach chosen to analyse any text, whether ancient or modern.

The study followed the pragmatic approach, relying on analysis and investigation to reach specific scientific results. Therefore, the research included an introduction and a conclusion, there are two sections between them: The theoretical section focused on explaining the concepts of pragmatics, speech acts, and supplication. The procedural section included two topics: One of them dealt with the occasion in the Quranic supplication of the messengers of resolution, and the other analyzed the objectives of the Quranic supplication of the messengers of resolution.

The search yielded the following two results:

1- The term "supplication" differs from many terms that are thought to be synonymous with it, such as calling, asking, remembrance, commanding, and prohibiting.

2- To arrive at the pragmatic features of supplication extracted from the supplication of Quranic supplication of the messengers of resolution.

Keywords: Supplication of the Messengers, Quranic supplication, Pragmatics.

المُقَدِّمَة:

الحمد لله، مجيب مَنْ دعاه، وسميع مَنْ ناجاه، ومعطي مَنْ سأل مبتغاه، والصلاة والسلام على خير خلق الله، سيِّدنا محمَّد النبِيِّ الأُمِّيِّ وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، وبعد.

فإنَّ الدعاء نعمة كبرى، ومنَّة عظمى، امتنَّ الله بها على عباده، حيث أمرهم به، ووعدهم بالإجابة والإثابة، بل توعَّد مَنْ استكبر عن دعائه بعظيم سخطه وعقابه.

ولمَّا كان الدعاء بهذه المنزلة الرفيعة في الدين، كان جديرًا بالعبد المسلم أن يتعلَّم كيف يحقِّق عبادة التوسُّل على أكمل وجه، وأتمِّ صورة؟ عسى أنْ يُقبل منه الدعاء، ويتحقَّق له الرجاء. والأسوة الحسنة التي يجب أن نتأسى بهم في هذا الشأن هم أنبياء الله ورسله عليهم السلام؛ ولهذا أمرنا الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالاقتداء بهم؛ فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(١).

وقد عُني سلف الأمة بتوجيه الناس إلى أدعية القرآن والسنة؛ لما فيها من كمال، وسلامة من الخَلل، وعصمة من الزلل، ولما فيها من المطالب السامية، والمقاصد العالية، فمَنْ دعا بها فهو على جادَّة سويَّة، وطريقة مرضيَّة، ومَنْ تأدَّب بآداب الأنبياء والرسل في الدعاء كان هذا أدعى لقبول دعائه وإجابة مسألته.

ومن ثَمَّ جعلت من آيات دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم مادة لهذا البحث.

وتكمن أهمِّيَّة هذا البحث في أنَّه يعتمد التداوليَّة منهجًا لدراسة دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم بوصفه خطابًا تراثيًّا تعبُّديًّا؛ وذلك بهدف الربط بين التراث نصًّا والتداوليَّة منهجًا حداثيًّا.

وقد تناولت دراسات عديدة الآيات القرآنيَّة لدعاء أولي العزم من الرسل منها: دراسة بعنوان (دعاء الأنبياء في القرآن الكريم: دراسة بلاغيَّة تحليليَّة)، للدكتور عبد الرحمن بن رجاء الله السلمي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنيَّة بمعهد الإمام الشاطبي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنيَّة، ودراسة بعنوان (دعاء الأنبياء

والرسل في القرآن الكريم: دراسة موضوعيَّة في أولي العزم من الرسل)، للباحث ريان محمَّد علي، مخطوط ماجستير بكلية الآداب، جامعة النيلين بالسودان، ودراسة بعنوان (الإعجاز الدعوي للدعاء من خلال القرآن الكريم: دعاء الأنبياء نموذجًا)، للدكتورة زينب السر عثمان، جامعة أم درمان الإسلاميَّة، مجلة معالم الدعوة الإسلاميَّة، لكنَّ دراستي الحاليَّة تناولت الموضوع من جانب آخر، ألا وهو الكشف عن جدوى المنهج التداوليّ في تحليل دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم.

وجعلت هذا البحث في مقدمة وخاتمة، بينهما قسمان تواليا على النحو الآتي: القسم النظريُّ: ويُعْنَى ببيان مفهوم كلٍّ من التداوليَّة والفعل الكلاميّ والدعاء. والقسم الإجرائيُّ: وفيه مبحثان: أوَّلهما يعالج المناسبة في الأدعية القرآنيَّة التي دعا بها أولو العزم من الرسل، والمبحث الآخر يتناول بالتحليل مقاصد دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم. وبيان ذلك كلّه فيما يلي:

القسم النظريُّ:

لا يروم هذا البحث أن يفصِّل القول في التداوليَّة مفهومًا ونشأة؛ إنَّما يهتدي بها في مقاربة خطاب دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم، ويعمد إلى استخدامها إجرائيًّا؛ ليختبر جدواها في تحليل النصوص؛ إذ المحك فيما يتَّصل بهذه المناهج المعاصرة الإجراء وليس التنظير مع ما له من وجاهة وأهمِّيَّة.

وللتداوليَّة تعريفات عديدة ليس من هم هذا البحث تقصِّيها، ولكن سأختار من هذه التعريفات تعريفًا يرى أنَّ التداوليَّة تعنى بـ: "دراسة استعمال اللغة التي لا تدرس البنية اللغويَّة ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقاميَّة المختلفة، أي بعَدِّها (كلامًا محدَّدًا) صادرًا من (متكلِّم محدَّد) وموجهًا إلى (مخاطب محدَّد) بـ(لفظ محدَّد) في (مقام تواصلي محدَّد)؛ لتحقيق (غرض تواصلي محدَّد)"[٢].

ومن ثَمَّ تهتم التداوليَّة بدراسة الكلام المنجز في سياق معين وكلّ ما يحيط بهذا الكلام من ظروف وملابسات، أي تجمع في مقاربتها بين الداخل اللسانيّ والخارج غير

اللسانيّ، وهي بهذا الانفتاح تختلف عن البنيويَّة التي تنكفي على الظاهرة اللغويَّة وحدها، وتكون من ناحية أخرى وثيقة الصلة بفكرة (مقتضى الحال)، وأشار الأستاذ الدكتور صلاح فضل إلى هذه الصلة حين قال: "يأتي مفهوم التداوليَّة هذا ليغطِّي بطريقة منهجيَّة منظَّمة المساحة التي كان يُشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة (مقتضى الحال) وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربيَّة (لكلِّ مقام مقال)"(٣).

إذن تباشر التداوليَّة الكلام وتقاربه في سياق معين يفرض على المتكلِّم أن ينحو بكلامه نحوًا خاصًّا، وأن يستعمل من اللغة مفردات محدَّدة يؤلِّف بينها تأليفًا مخصوصًا يوقن بأنَّه سيحقق غاياته ومقاصده، أي أنَّ التداوليَّة تُعنى "بدراسة المعنى كما يعبر عنه المتكلِّم (أو الكاتب)، ويؤوله المستمع (أوالقارئ)، وبالتبعيَّة فإنَّها تهتم أكثر بتحليل ما يرمي إليه المتخاطبون من ملفوظاتهم، أكثر مما تُعنى بما يُحتمل أن تعبِّر عنه الكلمات أو الجمل نفسها. وعليه فإنَّ التداوليَّة دراسة لمقاصد المتكلِّم"(٤). من هنا تهتم التداوليَّة بدراسة اللغة في تحقّقاتها المقاميَّة المختلفة.

ورغم اختلاف أراء الدارسين حول التداوليَّة، وتساؤلاتهم عن القيمة العلميَّة للبحوث التداوليَّة وتشكيكهم في جدواها، فإنَّ معظمهم يقرُّ بأنَّ وظيفة التداوليَّة هي إيجاد القوانين الكلِّيَّة للاستعمال اللغويّ، ومعرفة القدرات الإنسانيَّة للتواصل اللغويّ، فتصبح التداوليَّة بحق(علم الاستعمال اللغويّ)(٥).

"فالتداوليَّة إذن تعنى بالشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصَّة به؛ أي للعلاقة بين النصِّ والسياق"(٦)، وحينئذ تُدرَس اللغة "كظاهرة خطابيَّة وتواصليَّة واجتماعيَّة معًا"(٧).

وقد ركَّزَ كثيرٌ من نحاتنا القدامى في تحليلهم للظواهر اللغوية على "المبادئ التي تعدُّ عند المعاصرين أسسًا تداوليَّة، كمراعاة (قصد المتكلِّم)، أو غرضه من الخطاب، ومراعاة (حال السامع) ضمن ما أطلقوا عليه مصطلح (الإفادة)، وهي الفائدة التي يجنيها

المخاطَب من الخطاب، و(السياقات) التي يُنتج ضمنها الكلام، ومدى نجاح التواصل اللغوي..."[٨].

هذا ويُعدُّ مبحث الفعل الكلاميّ من أهم محاور التداوليَّة؛ فهو "أنَّ كلَّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلًا عن ذلك يُعدُّ نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسَّل أفعالًا قوليَّة؛ لتحقيق أغراض إنجازيَّة (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...) وغايات تأثيريَّة تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)"[٩].

والمؤسِّس لمفهوم الفعل الكلاميّ هو أوستين؛ فقد انطلق "من تحديد الفعل (أي النشاط) الذي يمكن أن ننجزه بتلفُّظنا بهذا النوع من الجمل. ولفظ فعل هنا يقابل act وليس verb. ونعني به الحدث أو النشاط الذي يُنجز. ومفاد الفكرة المركزيَّة التي دافع عنها أوستين أنَّ تحديد الفعل اللغويّ الذي نستعمل له، بصورة معياريَّة، جملة معيَّنة هو الذي يعطينا معنى تلك الجملة"[١٠].

وقسَّم أوستين ما نفعله أو نحقِّقه بالكلام إلى ثلاثة أفعال متَّصلة فيما بينها هي:

١- الفعل القولي (locutionary act): ويتمثل في إنتاج كلام سليم التركيب يشتمل على مستوى صوتي وتركيبي ودلالي. (الفعل هنا قول).

٢- الفعل الإنجازي (illocutionary act): وهو الذي يحدِّد الغرض المقصود بالقول، ويتمثل في ما ينبغي أن يفهم بالقول في الحال سواء أكان معنى أوَّليًّا حرفيًّا أم معنى ثانيًا سياقيًّا كأن يُفهم على أنَّه نصح أو إلزام أو وعد أو وعيد أو دعاء... إلخ. (الفعل هنا إنجاز).

٣- فعل جَعْل الإنجاز (perlocutionary act): وهو ما ينتجه القول من أثر في المخاطب. (الفعل هنا أثر الإنجاز).

"ويجمل أوستين هذه التعاريف كالتالي:

١- القول: قال لي: "اضرب زيدًا"، أي أنَّه تلفَّظ بتلك الجملة التي تعني إيقاع الضرب.

٢- الإنجاز: أنجز المتلفِّظ أمرًا؛ فقد أمرني بضرب زيد حين تلفَّظ بالجملة أعلاه.

٣- جَعل الانجاز: أقنعني بضرب زيد عن طريق قوله: "إذا ضربته فإنه كذا وكذا"[١١].

لقد سبق النحاة العرب إلى التمييز بين الصيغة اللغويَّة والمعنى أو العمل المنجز بها؛ فالدعاء –على سبيل المثال– عمل ينشئه المتكلِّم/ الداعي، ويصنعه بصيغة لغويَّة مخصوصة أو آلة مخصوصة هي آلة الدعاء. وعليه فلكلِّ عمل آلته أو صيغته اللغويَّة الخاصَّة التي يتحقَّق بها "فإذا استقام اعتبار كلّ صيغة آلة لتحقِّق المعنى المناسب لها، وعلمت من ناحية أخرى أنَّ اللغة لا تعدو أن تكون مجموعة من الصيغ التي تتحقَّق بها مختلف المعاني– أمكنك أن تعتبر اللغة هي أيضًا ضرب من الآلة الكبرى باعتبارها الأمر الجامع لتلك الصيغ ولمختلف الأشكال النظريَّة التي تناسبها"(١٢).

لا فرق بين الخبر والإنشاء في ما نحقِّقه بالكلام من هذه الأعمال؛ لأنَّ علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه هي هي في الخبر والإنشاء. غير أنَّ الفرق بين الخبر والإنشاء يكمن في أنَّ الخبر قابل للتحقُّق منه؛ لأنَّه يحتمل التصديق والتكذيب، في حين أنَّ الإنشاء غير قابل للتحقُّق منه؛ لأنَّه لا يحتمل التصديق ولا التكذيب، وفي أنَّ المطابقة أو عدمها في الخبر تتجه من القول إلى العالم الخارجي بأن يكون القول مطابقًا للواقع والأحداث في العالم الخارجي أو غير مطابق، في حين أنَّ المطابقة أو عدمها في الإنشاء تتجه من العالم الخارجي إلى القول بأن يطلب الإنشاء أن يكون العالم مطابقًا للقول أو غير مطابق له. والدعاء أحد أقسام الإنشاء الطلبي؛ لذلك ينطبق عليه ما ينطبق على الإنشاء.

وقد أشار السكَّاكي (ت٦٢٦هـ) إلى بعض السياقات التي ارتبطت بها دلالات مجازيَّة لأسلوب الأمر بقوله: إنَّ جملة الأمر "إن أُستعملت على سبيل التضرُّع، كقولنا: "اللهمَّ اغفر وارحم" ولَّدت الدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطُّف، كقول كلِّ أحد لمن يساويه في المرتبة: افعل، بدون الاستعلاء، ولَّدت السؤال والالتماس... وإن استعملت في مقام الإذن، كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، لِمَنْ يستأذن في ذلك بلسانه أو بلسان حاله، ولَّدت الإباحة، وإن استعملت في مقام تسخُّط المأمور به ولَّدت التهديد..."(١٣)، فـ(الأمر) أو (النهي) يكون ممَّن أعلى مرتبة على وجه الاستعلاء؛ ولهذا

عرّف (الأمر) بأنَّه "اقتضاء فعل غير كفٍّ على جهة الاستعلاء"[١٤]، وعرّف (النهي) بأنَّه "اقتضاء كفٍّ عن فعل على جهة الاستعلاء"[١٥]، و(الدعاء) يكون ممَّن هو أدنى مرتبة على وجه الخضوع؛ ولهذا يمكن تعريفه اصطلاحيًا بأنَّه: طلب فعل كفّ أو غير كفٍّ على وجه الخضوع والتضرُّع، وهذا التعريف يُعَضِّده أمران: أحدهما أنَّه يتَّفق مع ما ذهب إليه القدامى من أنَّ الدعاء في الاصطلاح هو: التضرُّع إلى الله والافتقار إليه بالسؤال والطلب؛ لتحقيق المطلوب أو دفع المكروه[١٦]، والآخر أنَّ سيبويه (ت١٨٠هـ) قد قرن الدعاء بالأمر والنهي؛ إذ يقول: "واعلم أنَّ الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنَّما قيل (دعاء)؛ لأنَّه استُعظِم أن يقال: أمر أو نهي. وذلك قولك: اللهمَّ زيدًا فاغفر ذنبه..."[١٧]. والالتماس يكون ممَّن يساويك في المرتبة على وجه التلطُّف. "فالدعاء والأمر والنهي من قبيل المعاني الحاصلة عن اختلاف منزلة المتكلِّم بالنسبة إلى المخاطب وعلاقة أحدهما بالآخر. وهو ليس بالأمر الهيِّن، ولم يستهن به النحاة العرب، يدل على ذلك إفرادهم كلّ معنى باسم خاص رغم اشتراك هذه المعاني في الصيغة اللغويَّة التي تتحقَّق بها"[١٨].

إنَّ معنى الدعاء يأتي على ثلاثة أضرب: "فضرب منها توحيده والثناء عليه؛ كقولك: يالله لا إله إلَّا أنت، وكقولك: ربَّنا لك الحمد... والضرب الثاني مسألَة الله العفو والرحمة وما يقرِّب منه، كقولك: اللَّهُمَّ اغفر لنا. والضرب الثالث مسألته الحظُّ من الدنيا، كقولك: اللهمَّ ارزقني مالًا وولدًا. وإنَّما سُمِّي هذا أجمع دعاء؛ لأنَّ الإنسان يصدّر في هذه الأشياء بقوله: يا الله يا ربّ يا رحمان؛ فلذلك سُمِّي دعاء"[١٩].

ما يدخل في المفهوم الاصطلاحي للدعاء من الضروب الثلاثة السابقة– الضرب الثاني والثالث اللذان يُسمِّيان (دعاء المسألة)، في حين أنَّ الضرب الأول الذي يُسمَّى (دعاء العبادة والثناء) لا يدخل في هذا المفهوم[٢٠]. وفي نصِّ الأزهري (ت٣٧٠هـ) السابق نلاحظ أيضًا أنَّ الدعاء لا يُسمَّى كذلك إلَّا إذا كان المنادى لفظ الجلالة الله أو اسمًا من أسمائه. لا شك في أنَّ الدعاء يتواصل مع النداء من حيث إنَّه لا يُنجز إلا

بإحدى أدوات النداء، ولكن سرعان ما يتفاصلان حين يكون الله هو المنادى؛ لأنَّه لا يجوز حينئذٍ أن يقال: إنَّ النداء تنبيه للمدعوِّ بعَدِّ التنبيه وظيفة النداء الدلاليَّة، "ولكنَّه أخرج مخرج التنبيه ومعناه الدعاء لله عَزَّ وَجَلَّ؛ ليُقْبِل عليك بالخير الذي تطلبه منه. والذي حسَّن إخراجه مخرج التنبيه البيانُ عن حاجة الداعي إلى إقبال المدعوِّ عليه بما يطلبه. فقد وقف في ذلك موقف مَن كأنَّه مغفولٌ عنه، وإن لم يكن المدعوُّ غافلًا"(٢١).

قد يَرِد السؤال في محل دعاء المسألة، الأمر الذي يقتضي منَّا أن نميِّز بينهما. لا شك في أنَّ كلًا من السؤال ودعاء المسألة يكون مصحوبًا باستكانة وخضوع، وفي أنَّ كليهما يكون من الأدنى في المرتبة، بيد أنَّ دعاء المسألة أخصُّ من السؤال؛ فكلّ دعاء مسألة سؤال وليس العكس؛ فـ "السؤال يكون طلب الخبر، وطلب الأمر والنهي، وهو أن يسأل السائل غيره أن يأمره بالشيء أو ينهاه عنه"(٢٢).

إنَّ فعل الدعاء يشمل أربعة عناصر: الداعي، والمدعوَّ، والمدعوَّ له، والمدعوَّ به. ففي دعاء موسى –عليه السلام–: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢٣) فإنَّ الداعي والمدعوَّ له: موسى، والمدعوَّ: الله، والمدعوَّ به: النجاة من القوم الظالمين.

وليس هناك ما يمنع من أن نطبِّق منهجًا حديثًا على خطاب تراثيّ تعبُّديّ، كدعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم، لا سيما إذا كان في التراث المعرفي والتربوي والفكري ما يلبي منهجًا من هذه المناهج الحديثة، ويسعفه بأن يكون مجالًا عمليًّا خصبًا لإجراء أدواته عليه، وتشغيل آلياته.

لقد آثرت الخطاب القرآنيّ المشتمل على دعاء أولي العزم من الرسل بوصفه فعلًا كلاميًّا، والتداوليَّة قد أولت عناية خاصَّة بهذا المفهوم؛ فهو مشغل أصيل من مشاغلها.

القسم الإجرائيُّ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المناسبة في الأدعية القرآنيَّة التي دعا بها أولو العزم من الرسل:

إنَّ أولي العزم من الرسل بدعائهم يكونون قد أحدثوا فعلًا قوليًّا متمثِّلًا في التلفُّظ

بالجمل الدعائيَّة الواردة في نصِّ الدعاء التي تعني إيقاع كلّ ما طلبه أو دعا به بعد أن لم يكن له وجود قبل التلفُّظ به، ويكونون قد أنجزوا بهذا الفعل القولي دعاء. وأولو العزم من الرسل بتوجههم بدعائهم إلى الله يأملون أن يستجيب الله/ مدعوُّهم لدعائهم الذي يكون مصحوبًا بفعل حركي وصوتي ينمُّ عن الخنوع والخضوع والتضرُّع لمدعوِّهم بغية أن يُستجاب دعاؤهم. وهنا يجب التأكيد على أنَّ ليس من الضروري أن تتحقَّق الإجابة في أثناء الدعاء أو بعد الفراغ منه مباشرة، على الرغم من أنَّ الله –تعالى– المتوجَّه إليه بالدعاء قد وعد في محكم تنزيله بالإجابة؛ فقال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[٢٤]، ولكنَّه لم يحدِّد سقفًا زمنيًا لإجابة الدعاء.

ولكي ينجح المتكلِّم الداعي في إيصال مقاصده بالدعاء إلى المخاطب المدعوِّ، لابُدَّ أن تكون الجمل الدعائيَّة الواردة في نصِّ الدعاء مناسبة لسياق الكلام؛ لذا سنتناول المناسبة في دعاء أولي العزم من الرسل.

المناسبة في اللغة المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة أي مشاكلة، وكذا قولهم: "ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة"[٢٥]. ولا يختلف المعنى اللغوي للمناسبة عن معناها الاصطلاحي؛ ففي الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وتشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمرٍ متَّحد مرتبط أوله بآخره[٢٦]. فالمناسبة علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزاء القرآن، وهي سر البلاغة في أدائه، وتحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال[٢٧]. ومن ثَمَّ فعلم المناسبة هو العلم الذي يبحث عن وجوه الترابط بين المعاني وارتباط بعضها ببعض في سلك الآيات القرآنيَّة، وارتباط الآيات بسورها، وارتباط السور بالقرآن كلِّه، سواءٌ أكانت هذه الارتباطات جليَّة أم خفيَّة.

وفائدة المناسبة "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٢٨].

موضوع علم المناسبة:

هو أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الوقوف على طرق الترتيب

وعلله[٢٩].

وقد ذكر البقاعيّ (٨٨٥هـ) أنَّ علم المناسبة يكشف إعجاز القرآن في نظمه من وجهين: "أحدهما نظم كلِّ جملة على حيالها بحسب التركيب. والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب"[٣٠].

ومن ثَمَّ فعلم المناسبة هو العلم الذي يدرس مختلف العلاقات التناسبيَّة التي تبيّن وحدة السورة القرآنيَّة، كما يدرس تراتيب سور القرآن ومناسبة بعضها لبعض حتى يبدو القرآن في ذلك كلِّه كأنَّه سورة واحدة.

ومن بديع المناسبة في الأدعية القرآنيَّة التي دعا بها أولو العزم من الرسل ما يلي:

أولًا: تناسب الأطراف:

يُسمَّى أيضًا تشابه الأطراف، وهو أن يُختم الدعاء بما يناسب أوَّله في المعنى[٣١]. ومن أمثلة ذلك دعاء الخليل –عليه السلام–: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣٢]، ودعاء موسى –عليه السلام–: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[٣٣]، ودعاء عيسى –عليه السلام–: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٣٤]، ودعاء نبيّنا محمَّد –صلَّى الله عليه وسلَّم–: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٣٥].

فالتناسب ظاهر بين﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ و﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾، وبين ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ و﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾، وبين﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ و﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وبين ﴿وَٱرْحَمْ﴾ و﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وقد يُختم الدعاء بما يناسب أوَّله في المعنى، ولكن لا تبدو المناسبة واضحة جليَّة إلَّا بعد تأمُّل.

ومن ذلك دعاء إبراهيم –عليه السلام–: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٣٦]. فهذا الدعاء لم يُختم بالمغفرة مع أنَّ طلب المغفرة ورد قبل ختامه؛ وذلك لأنَّ "مدار الطلب في الآية هو أنْ لا يجعلهم فتنة للذين كفروا، وهو مَحطُّ الاهتمام كما هو واضحٌ من السياق، وذلك يقتضي الختام بالعزة والحكمة"[٣٧].

ثانيًا: حُسن الترتيب:

إنَّ الألفاظ تتقدَّم في الكلام بحسب معانيها، وما يتداعى من تلك المعاني في العقل، ومن ذلك:

- دعاء إبراهيم -عليه السلام-: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٣٨]. تأمَّل حسن ترتيب الصفات؛ فأول "ما يقرع السمع هو التلاوة والتلفُّظ بالقرآن، ثمَّ بعد ذلك تُتَعَلَّم معانيه ويُتَدبَّر مدلوله"[٣٩]. وتأخير صفة التزكية في نظم هذه الآية يكشف لنا أنَّ هذه الصفة هي الغاية المنشودة وأنَّ الصفتين السابقتين وسيلتان للوصول إليها.

- دعاء إبراهيم وإسماعيل-عليهما السلام-: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٤٠]. فقُدِّم ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ على ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾؛ "لأنَّه لا بُدَّ من سماع الكلام أوَّلًا ثُمَّ من حصول العلم بمعناه"[٤١].

ومن الألفاظ التي وقعت بينها المغايرة تقديمًا وتأخيرًا ما جاء في طلب الحواريّين نزول المائدة وإجابة عيسى -عليه السلام- لهم؛ ففي تعليل طلبهم نزول المائدة ذكروا أغراضًا قدَّموا فيها غرض الأكل؛ فقالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ﴾[٤٢]، وأخروا بعد ذلك غرض الاطمئنان وزيادة التصديق؛ فقالوا: ﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾[٤٣]. وأمَّا عيسى -عليه السلام- فإنَّه لمَّا طلب نزول المائدة ذكر في تعليل طلبه هذا أغراضًا قدَّم فيها الأغراض الدينيَّة وأخَّر غرض الأكل؛ فقال: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا﴾[٤٤]، وترتيب هذه المعاني يعود إلى مراعاة سياق الحال؛ إذ يلوح هنا "مراتب درجات الأرواح في كون بعضها روحانيَّة وبعضها جُسمانيَّة"[٤٥].

ثالثًا: وضْع لفظ في موضع لفظ آخر لمناسبة السياق:

ومن ذلك: وضع اسم الفاعل موضع الفعل للإشعار بالدوام والاستمرار وتحقيق المبالغة، كدعاء إبراهيم -عليه السلام-: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا

وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[٤٦]. فهذا الدعاء جاء بعد رفع الخليل –عليه السلام– لقواعد البيت وبنائه، ثُمَّ دعائه لربه بأن يجعله آمنًا لتقيم أمَّته الصلاة؛ لذلك عُبِّر باسم الفاعل ﴿مُقِيمَ﴾ للإشعار بالدوام والاستمرار وتحقيق المبالغة في الطلب.

رابعًا: صيغة اللفظ ومناسبتها للسياق:

من دقيق المناسبة: ما تدلّ عليه صيغة اللفظ من خلال وضعها في سياق معين، فالتنكير غالبًا يعطي الاسم دلالة على الشيوع والعموم، والتعريف غالبًا يمنحه دلالة على التخصيص والتحديد، وقد جاء ذلك مناسبًا للسياق؛ ففي دعاء إبراهيم –عليه السلام– جاء لفظ (البلد) منكَّرًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٤٧]، ثمَّ جاء معرَّفًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[٤٨]. ونلاحظ أنَّ المغايرة بين اللفظين جاءت حسب مناسبة السياق؛ فدعاء إبراهيم –عليه السلام– في سورة البقرة جاء في سياق معانٍ تدلُّ على العموم والشيوع؛ إذ يخبر الله –تعالى– رسوله إبراهيم أنَّه جعله إمامًا للناس كافة، وأنَّه جعل البيت مثابة للناس وأمنًا لهم، ثُمَّ أخبر سبحانه أنَّه يرزق فيه جميع الناس من آمن منهم ومن كفر. فناسب هذا التعميم مجيء لفظ ﴿بَلَدًا﴾ في صورة التنكير؛ ليتفق بما يدلُّ عليه من تعميم وشيوع مع دلالة السياق. أمَّا السياق في سورة إبراهيم فقد قام على التخصيص؛ إذ يدعو فيه إبراهيم –عليه السلام– ربَّه أن يأوي بعض الناس إلى بيته المحرم لتكون ذريَّته في جوارهم، وأن يرزقهم رزقًا من لدنه، فكان الدعاء خاصًّا بأهله وذريَّته ومن يسكنون معهم؛ فناسب تعريف لفظ ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ ليدلّ على هذا التخصيص والتحديد[٤٩].

خامسًا: صيغة التركيب ومناسبتها للسياق:

تنوُّع أسلوب الرسول في الأدعية القرآنيَّة التي يجمعها موضوع واحد– يكون تبعًا لاقتضاء السياق. ومن أمثلة ذلك الأدعية القرآنيَّة التي يجمعها موضوع (دعاء نوح –

عليه السلام- على كفَّار قومه)؛ حيث تعدَّدت صيغ دعائه -عليه السلام- في هذه الأدعية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾[٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا[٥٢]﴾[٥٣]. ففي سورة (المؤمنون) جاء الدعاء بلفظ ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾، وهو متناسب مع موقف كفَّار قومه الوارد في السورة ذاتها؛ حيث لم يسبق تصريح من كفَّار قومه بإهانته أو التضييق عليه أو إيذائه، وغاية ما ورد من مجابهته قولهم: ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾[٥٤]. وهذا اقتضى أن يقتصر الدعاء هنا على طلب النصرة من ربّه. وفي سورة (القمر) ورد الدعاء بلفظ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾، وفي هذا الدعاء ورد طلب النصرة من ربّه مع الانتقام من كفَّار قومه، وهذا مستفاد من قوله: ﴿فَٱنتَصِرۡ﴾ أي: فانتقم[٥٥]، كما أنَّ التعبير بأنَّه ﴿مَغۡلُوبٞ﴾ وصف لضعفه ومدعاة لطلب النصرة وسرعة الانتقام. وهذه الألفاظ جاءت متوافقة مع موقف كفَّار قومه الذي جاء في سورة القمر؛ حيث جابهوه بالعناد ووصموه بالجنون وزجروه وعنَّفوه كما قال تعالى واصفًا حال كفَّار قومه: ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾[٥٦]. ودعاء نوح -عليه السلام- الوارد في سورة (نوح) أعنف دعواته وأشدُّها؛ إذ طلب من ربّه -تعالى- أن ينزل عليهم الهلاك والعذاب بعد أن اجتهد في دعوتهم وبذل لهم جميع الوسائل فما زادهم ذلك إلَّا عنادًا وكفرًا وجعلهم يتواصون بالعكوف على أصنامهم؛ لذلك جاء دعاؤه مناسبًا لموقفهم الوارد في صدر السورة.

وهكذا نلمس سرّ التباين والاختلاف في دعاء نوح -عليه السلام- في المواضع الثلاثة من قصَّته.

ومن ذلك أيضًا دعاء نوح -عليه السلام-: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾[٥٧]، ودعاؤه: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾[٥٨]؛ إذ علَّق ابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ) على هذين الموضعين قائلًا: "للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف ما دعا به نوح -صلَّى

الله عليه وسلَّم- على قومه في الموضعين؟

والجواب عن ذلك أنَّ نوحًا -عليه السلام- لمَّا ذكر أولًا في إخبار الله -سبحانه- عنه عصيان قومه له، وقولهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾[٥٩] أي: لا تتركوها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾[٦٠] إلى قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾[٦١]، أردف هذا بما يناسبه من الدعاء في زيادة ضلالهم، ولم يدع هنا بهلاكهم.

وأمَّا الآية الثانية فتقدَّمها دعاؤه -عليه السلام- بهلاكهم وأخذهم في قوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[٦٢]، فأتبع ذلك بما يناسب، فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ أي: هلاكًا"[٦٣].

سادسًا: التعريض ومناسبته للسياق:

التعريض: "أن يكنى عن الشيء ويُعرِّض به ولا يُصرِّح، على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء"[٦٤].

ومن التعريض دعاء نوح -عليه السلام-: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[٦٥]؛ لأنَّ الاقتصار على هذه الجمل الثلاث في مقام الدعاء يُعدُّ تعريضًا بالمطلوب؛ لأنَّه لم يذكره، وهذا ضرب من ضروب التأدُّب والتردُّد في الإقدام على المسؤول؛ استغناء بعلم المسؤول[٦٦].

ومن التعريض أيضًا دعاء إبراهيم -عليه السلام-:﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٦٧]؛ فرجاء شكرهم "داخل في الدعاء؛ لأنَّه جُعل تكملة له تعرضًا للإجابة وزيادة في الدعاء لهم بأن يكونوا من الشاكرين"[٦٨].

المبحث الثاني: مقاصد دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم:

أدعية أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم تضمَّنت مطالبهم العالية ومقاصدهم العظيمة. ويمكن توضيح ذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ما يتعلق بقومهم أو أمَّتهم، ويشمل:

أولًا: الدعاء لقومهم أو أمَّتهم بالخير والهداية:

جاء هذا الدعاء من إبراهيم وموسى وعيسى –عليهم السلام– وهو عند كلٍّ منهم يختلف عن الآخر على النحو الآتي:

١– دعاء إبراهيم عليه السلام:

جاء هذا الدعاء في سورتي البقرة وإبراهيم. والمتأمِّل في هذين الموضعين يلمس التنوع البديع الذي تصرف حسب السياق والموضوع؛ فالدعاء في سورة البقرة جاء في سياق ما امتنَّ الله به من جعل الكعبة مثابة للناس وأمنًا، وقد أخبر الله –عَزَّ وَجَلَّ– ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٦٩]. ففي هذه الآية بدأ إبراهيم –عليه السلام– الدعاء لأمَّته بنداء الرب –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، وذلك بحذف أداة النداء (يا)، والتقدير: يا رب؛ وقدِّرت (يا) دون غيرها؛ لأنَّها "تختص دون سواها بأنَّها هي وحدها التي يجوز حذفها مع المنادى، عندما لا يكون هناك مانع من الحذف"[٧٠]. وهذه الأداة وضعت أصلًا لنداء البعيد، فكيف يُنادى بها الله –عَزَّ وَجَلَّ– القريب من خلقه؟ وجواب ذلك أن يقال: إنَّ في هذا إشارة إلى بُعد منزلته سبحانه ورفعة مكانته؛ فيُنزَّل بعد منزلته منزلة بعد مكانه[٧١].

والحكمة من حذف حرف النداء في نداء الصالحين لربهم –سبحانه– دلالة النداء على التعظيم والإجلال، واستشعار الداعي قرب المنادى المدعوّ؛ لأنَّ النداء يتشرَّب معنى الأمر، فإذا حُذف منه حرف النداء زال منه معنى الأمر وتمخض للتعظيم والإجلال[٧٢]، هذا بالإضافة إلى أنَّ لهذا الحذف دلالة في نفس البليغ، وهي استشعاره "أنَّ المنادى في أقرب منازل القرب من المنادي، حتَّى لم يحتج إلى ذكر أداة نداء لهُ لشدّة قُربه، وهذا يليق بمقام دُعاء الربّ جلّ وعلا"[٧٣].

و﴿رَبِّ﴾ منادى أصله: (ربّي)؛ فحُذفت منه ياء المتكلِّم تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وعُوِّض عنها بالكسرة، وهذا كثير في المنادى المضاف إلى ياء المتكلِّم(٧٤). وإيثار لفظ (رب) على غيره من أسماء الله الحسنى في الدعاء؛ "لما في ذلك من تلطُّف السؤال والنداء بالوصف الدالِّ على قبول السائل وإجابة ضراعته"(٧٥)؛ فالإله "هو المعبود الذي يستحقُّ أن يُعبد. و(الربّ) هو الذي يربّي عبده فيدبّره؛ ولهذا كانت العبادة متعلِّقة باسمه (الله)، والسؤال متعلِّقًا باسمه (الربّ)"(٧٦)، أي: أنَّ إجابة الدعاء من مقتضى الربوبيَّة، والإقرار بتفرد الله بإجابة الدعاء من توحيده في ربوبيَّته.

وقال إبراهيم في هذا الموضع: ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ على التنكير، وقال في سورة إبراهيم: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾(٧٧) على التعريف؛ لأحد سببين: أحدهما "أنَّ الدعوة الأولى وقعتْ ولم يكن المكان قد جُعل بلدًا، كأنَّه قال: اجعل هذا الوادي بلدًا آمنًا... والدعوة الثانية وقعتْ وقد جُعل بلدًا، فكأنَّه قال: اجعل هذا المكان الذي صيَّرته بلدًا ذا أمن وسلامة"(٧٨). والآخر: أن تكون الدعوتان وقعتا بعدما صار المكان بلدًا؛ فقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ تقديره: اجعل هذا البلد من البلدان الكاملة في الأمن؛ لأنَّ التنكير يدل على المبالغة. أمَّا قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ فليس فيه طلب مبالغة(٧٩).

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): "اجعل هذا البلد أو هذا المكان بَلَدًا آمِنًا ذا أمن، كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾(٨٠). أو: آمنًا مَنْ فيه"(٨١). وقال الدكتور عبد الله خضر حمد معقِّبًا: "وقال بعض المفسرين: أي آمنًا مَنْ فيه؛ لأنَّ البلد نفسه لا يوصف بالأمن، والخوف... قلت: وهذا ضعيف، والذي ينبغي هو أن يبقى على ظاهره، وأن يكون البلد نفسه آمنًا؛ وإذا أمِنَ البلد أمِن مَنْ فيه وهو أبلغ... ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ﴾؛ لأنَّ البلد لا يُرزق"(٨٢).

ولمَّا دعا إبراهيم –عليه السلام– بطلب الأمن أتبع ذلك بطلب الرزق؛ فقال: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ لأنَّ مكة لم يكن بها زرع ولا ماء. وقد خصَّ إبراهيم المؤمنين بدعائه؛ إذ قال: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾. والاسم الموصول ﴿مَنْ﴾

بدل بعض من الكلِّ أو بدل اشتمال- مخصِّص لما دلَّ عليه المبدل منه ﴿أَهۡلَهُۥ﴾. والتخصيص هنا احتراز حسن من إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّه سبق أن دعا ربَّه أن يجعل من ذريَّته أئمة للناس دون أن يخصّ المؤمنين، فكان جواب الله -عَزَّ وَجَلَّ- له أنَّه لا يعطي هذا العهد من الإمامة والنبوة للظالمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٨٣]، ولكنَّ الأمر مختلف في الدعاءين. ففي الدعاء الأول يتعلق الطلب بأمر النبوة، والهداية، وهما أمران لا ينالهما إلَّا من اصطفاه الله من عباده المؤمنين؛ فوجب التخصيص. وأمَّا الدعاء الثاني فيتعلق الطلب فيه بالرزق، وهو أمر كفله الله لجميع خلقه؛ فكان من المناسب في هذا الموضع أن ينبِّه الله -عَزَّ وَجَلَّ- إبراهيم -عليه السلام- إلى أنَّ الرزق ليس كالإمامة؛ فالله يرزق الكافر من الدنيا ولا يجعله إمامًا؛ ولذا قال لهُ لمَّا خصَّ المؤمنين بطلب الرزق: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾[٨٤].

ونلحظ في هذه الآية أنَّ إبراهيم -عليه السلام- دعا بطلب أمرين عظيمين في حياة الناس هما: الأمن والرزق، وتقديم الدعاء بطلب الأمن من باب تقديم ما هو أولى؛ فقد كان من عادة العرب الفصحاء"إذا أَخبرتْ عن مُخْبَر ما، وأناطت به حكمًا، وقد يُشركه غيره في ذلك الحكم أو فيما أُخبِر به عنه، وقد عطفتْ أحدهما على الآخر بالواو المُقتضية عدم الترتيب، فإنَّهم -مع ذلك- إنَّما يبدءون بالأهمّ والأولى"[٨٥]. وأهمِّيَّة الأمن ترجع إلى أنَّ الإنسان إذا أمِن في بلده، استطاع المحافظة على دينه وعبادة ربّه وإصلاح أمور معاشه، وإذا لم يأمن في بلده، لم يفرغ إلى شيء آخر من أمور الدين والدنيا[٨٦].

ولمَّا دعا إبراهيم -عليه السلام- ربَّه بالأمن لمكَّة والرزق لأهلها وأن يجعل من ذريَّته أمَّة مسلمة، ختم الدعاء بأن يبعث في أمَّته رسولًا منهم؛ فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٨٧].

والدعاء بلفظ ﴿رَبَّنَا﴾ خاصَّة على سبيل الاستعطاف؛ لما فيه من معاني التربية والعناية واللطف، وتكراره هنا بعد وروده سابقًا بدون حرف النداء؛ للمبالغة في تصوير قرب المنادى.

والتعبير بالفعل (ابعث) دون سواه فيه دقَّة؛ لأنَّ هذا الفعل إضافة إلى دلالته على معنى الإرسال نجده يحمل معنى الإثارة والإيقاظ. وكلّ شيء بعثته فقد أثرته، والبعث من الله الإحياء(٨٨). وهذه المعاني تتوافق مع مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ووصِفَ الرسول بأن يكون ﴿مِّنۡهُمۡ﴾؛ حتى "يكون أشفق على قومه، ويكونون هم أعزّ به وأشرف وأقرب للإجابة؛ لأنَّهم يعرفون مَنشأه وصِدْقَه وأمانته"(٨٩).

وقد فصَّل الخليل ما يأتي به الرسول من خير لمن أُرسل إليهم بقوله: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾.

وأمَّا دعاء إبراهيم –عليه السلام– في سورة إبراهيم فجاء في سياق بيان دلائل القدرة الدالة على وحدانيَّة الله –تعالى– والامتنان بنعم الله على عباده، وقد استهلَّ هذا الدعاء بقوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٩٠). وبدأ إبراهيم –عليه السلام– هذا الدعاء بطلب الأمن لأمَّته؛ لأهمِّيَّته بالنسبة إلى غيره من النعم كما سبق بيان ذلك، وقد قرن الخليل إلى جانب ذلك أمرًا مهمًّا لأمَّته وهو تحقيق العبوديَّة لله تعالى، والبعد عن عبادة الأصنام؛ إذ قال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾، والمراد ببنيه: أبناء صُلبه، أو المراد جميع نسله تعميمًا في الخير فاستُجيب له في بعضهم(٩١).

وفي إسناد الإضلال إلى الأصنام مجاز عقلي علاقته السببية؛ حيث "أسند الإضلال إلى الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل؛ لأنَّها سبب لضلالهم فكأنَّها أضلَّتهم"(٩٢).

وجاءت ﴿كَثِيرٗا﴾ نكرة تدلُّ على العموم؛ لكثرة الناس الذين أضلَّتهم الأصنام.

ويتوالى دعاء إبراهيم –عليه السلام– فيقسِّم أمَّته بعد ذلك إلى قسمين؛ فيقول: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فـ(مِنْ) في قوله: ﴿مِنِّي﴾ يحتمل أن تكون للتبعيض؛ فيكون المعنى "فَمَنْ تَبِعَنِي على ملتي وكان حنيفًا مسلمًا مثلي، فَإِنَّهُ مِنِّي، أي: هو بعضي؛ لفرط اختصاصه بي وملابسته لي"(٩٣)، ويحتمل أن تكون اتِّصاليَّة، أي: فإنَّهُ "متَّصلٌ بي لا ينفكُّ عني في أمر الدين"(٩٤).

وقدَّم الخليل –عليه السلام– ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ على ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾؛ لأنَّ هذا هو الأهمّ بالنسبة له، وهذا ما يريده وتتعلق به نفسه، بخلاف المعصية؛ فهي مكروهة عنده مؤخَّرة في نفسه.

ومن ثمَّ فمِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء إبراهيم –عليه السلام– في الآيات السابقة ما يلي:

أ– التوسُّل إلى الله –عَزَّ وَجَلَّ– بالربوبيَّة التي تعني تدبير الخلق كله خلقًا، وإيجادًا، ورزقًا، وقسمًا، وتنويعًا للأرزاق. والرب المالك لكلِّ ذرات هذا الوجود والمالك لكلِّ ما سواه– هو الآمر الناهي المطاع؛ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٩٥). فاستحضار هذه المعاني عند الدعاء من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

ب– الدقَّة في اختيار ألفاظ الدعاء ووضعها في موضعها المناسب. والغاية من دقَّة الوضع هي الدقَّة في إيراد المعنى وتحديده، دون زيادة أو نقصان. وهذا شأن القرآن الكريم كله.

ج– تكرار النداء (ربَّنا) مبالغة في الضراعة إليه تعالى.

د– ترابط كلماته وتلاحم جمله وعباراته، بحيث تصير الأولى مؤدية إلى الثانية، والثانية مترتبة على الأولى ومتناسلة منها. وإذا كان هذا شأن كلّ كلام بليغ يصدر عن البشر، فما بالنا بكلام الله –عَزَّ وَجَلَّ– الذي عجز البشر عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، وقد "وَهِمَ مَنْ قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة؛ لأنَّها على حسب الوقائع مُتفرِّقة، وفصل الخطاب أنَّها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا،

فالمصحف... مرتبة سوره كلُّها وآياته بالتوقيف... كما أُنْزِلَ جملة إلى بيت العزَّة، ومن المعجز البيِّن أسلوبه ونظمه الباهر... والذي ينبغي في كلِّ آية أَنْ يُبْحَث أَوَّل كُلِّ شيء عن كونها مُكَمِّلَة لِما قبلها أو مستقلَّة، ثمَّ المستقلَّة ما وجه مناسبتها لِما قبلها؟ ففي ذلك علم جَمٌّ"(٩٦).

هـ- قد يكون ترتيب جُمل الدعاء وفقًا لأهميتها عند الداعي؛ كقول إبراهيم -عليه السلام- مقسِّمًا أمَّته إلى قسمين: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٢- دعاء موسى عليه السلام:

دعا موسى لقومه راجيًا: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(٩٧)، هنا طمأنهم موسى -عليه السلام- بأنَّ الله لا يخلف وعده، وأنَّه وعده بهلاك الطاغية العاتي. وقد تضمَّن كلامه أمورًا ثلاثة: "أولها: رجاء هلاك فرعون؛ لأنَّ الله أعلمه بذلك، وأنَّ لذلك وقتًا معلومًا، لم يحن حينه. ثانيها: أنَّهم يرثون الأرض من بعده، وأنَّهم سيكونون مستقلين أحرارًا ليس لأحد عليهم سلطان إلَّا الله. ثالثها: أنَّه قد تكون مخالفات، ومناقضات؛ ولذا قال: ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، أي: فيرى منكم عملكم، أو يقدّر لكم من الجزاء بمقدار عملكم، والله بكلِّ شيء عليم"(٩٨).

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى -عليه السلام- في الآية السابقة ما يلي:

أ- عدم اليأس والقنوط من رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ- بل التفاؤل بما عند الله -عَزَّ وَجَلَّ- من خير.

ب- حدوث التوسُّل والطلب بحرف الترجِّي ﴿عَسَىٰ﴾ الموجبة؛ التي تُستخدم في أمر محبوب قريب الوقوع. بينما الطلب بحرف التمني (ليت) يُستخدم في حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيد؛ كما في قوله سبحانه: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾(٩٩)(١٠٠).

جـ- التأدُّب مع الله تعالى؛ حيث جاء بفعل الرجاء دون الجزم.

٣- دعاء عيسى عليه السلام:

جاء هذا الدعاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(١٠١)، وكان بناء على طلب الحواريّين من عيسى -عليه السلام- كما أخبر الله -تعالى- عنهم بقوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾(١٠٢). وسؤالهم هذا كان منافيًا لأدب الانقياد والإذعان لأمر الله المطلق؛ لذلك وعظهم عيسى -عليه السلام- بقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١٠٣)، فأخبروه بأنَّ مقصودهم من سؤال المائدة الأكل منها وزيادة إيمانهم ويقينهم بصدق ما جاء به حين يرونها أمامهم؛ فتطمئن "قلوبهم بسكون الفكر، إذا عاينوا هذا المعجز العظيم النازل من السماء"(١٠٤).

فلمَّا اطمأنَّ عيسى -عليه السلام- إلى مقصود الحواريّين دعا الله -تعالى- لقومه بأن ينزِّل عليهم هذه المائدة لتحقيق مصلحتين "مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا وهي أن تكون رزقًا"(١٠٥).

وبدأ عيسى -عليه السلام- دعاءه بنداء الله -عَزَّ وَجَلَّ- بقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ الذي أصله: يا الله؛ فَلَمَّا حُذف حرف النداء، عُوِّض عنه بالميم المشدَّدة المفتوحة في آخر لفظ الجلالة(١٠٦).

ونستشعر في ابتداء الدعاء بـ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ نوعًا من الإجلال والتعظيم لا يوجد في لفظ (يا الله)(١٠٧)، وكأنَّ هذا اللفظ تتهيَّأ به نفس المؤمن لمناجاة الله -عَزَّ وَجَلَّ- في خشوع وتبتُّل وكمال ثقة في أنَّه تعالى قريب من عبده إذا دعاه.

و﴿رَبَّنَآ﴾ نداء ثانٍ، وقد جمع عيسى -عليه السلام- بين النداء باسم الذات الجامع لصفات الجلال ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ والنداء بوصف الربوبيَّة له وللحواريّين ﴿رَبَّنَآ﴾ استعطافًا لله ليُجيب طلبهم (١٠٨).

وتقديم الجار والمجرور ﴿عَلَيْنَا﴾ على قوله: ﴿مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ للاهتمام بالمقدَّم والتشويق إلى معرفة المؤخَّر الذي حقُّه التقديم.

وقوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي: يكون تذكر نزولها لنا عيدًا؛ بأن يجعلوا اليوم الموافق يوم نزولها من كلِّ عام عيدًا، فإسناد العيد للمائدة إسناد مجازي، وإنَّما العيد اليوم الموافق ليوم نزولها(١٠٩).

وتقديم شبه الجملة ﴿لَنَا﴾ على ﴿عِيدًا﴾؛ يفيد معنى القصر والتخصيص، أي: تكون لنا لا لغيرنا. وقوله: ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدل من قوله: ﴿لَنَا﴾ وقد أفاد تأكيد الإحاطة والشمول.

وفي قوله: ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ نلمس إيثار عيسى –عليه السلام– للفعل (ارزقنا) دون سواه من مثل (أعطنا) أو (امنحنا)؛ وذلك لأنَّ الرزق عطاء الله –عَزَّ وَجَلَّ– الحلال الجاري في الحكم على الإدرار(١١٠).

وقد ختم الدعاء بقوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وهذا الختام تذييل جارٍ مجرى التعليل، أي: أنت خير من يرزق؛ لأنَّك خالق الرزق ومعطيه بلا عوض(١١١).

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء عيسى –عليه السلام– في الآية السابقة ما يلي:

أ– الجمع بين النداء باسم الذات الجامع لصفات الجلال والنداء بوصف الربوبيَّة للداعي استعطافًا لله ليُجيب دُعاءه.

ب– اقتران الدعاء بحسن نيَّة؛ حيث ذكر عيسى –عليه السلام– المصلحة الدينيَّة والدنيويَّة التي ستحدث في حالة استجابة دعائه، فقال: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا﴾.

ج– خَتْم الدعاء بالثناء على الله تعالى؛ ليكون أرجى لاستجابة الدعاء.

ثانيًا: الدعاء على كفَّار قومهم أو فسَّاقهم بالهلاك والعذاب:

لئن كان في دعاء أولي العزم من الرسل السابق رقَّة وعذوبة، ففي دعائهم على الكافرين من قومهم قوَّة وشدَّة يقتضيها المقام ويستدعيها الصراع بين أهل الإيمان وأهل

الكفر والعناد.

جاء هذا الدعاء من نوح وموسى–عليهما السلام– وهو عند كلٍّ منهما يختلف عن الآخر على النحو الآتي:

١– نوح عليه السلام:

دعا نوح –عليه السلام– على مَنْ تلقَّى دعوته بالكفر والإعراض مِنْ قومه بالهلاك والعذاب. وقد قصَّ الله –عَزَّ وَجَلَّ– ذلك في أكثر من موضع قرآني، كقوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[١١٢].

بدأ نوح –عليه السلام– دعاءه بمناجاة الله بلفظ ﴿رَّبِّ﴾ المشعر بالقرب. وقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ مؤكَّد بـ(إنَّ)، وليس الغرض منه إخبار الله –عَزَّ وَجَلَّ– بأنَّهم عصوه؛ لعلمه عليه السلام أنَّ الله عالم بذلك مطَّلع على أحوالهم، وإنَّما الغرض منه إظهار "الشكاية وإبداء العجز واليأس منهم وطلب النصرة عليهم"[١١٣].

والطباق في قوله: ﴿عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ﴾ يصوِّر حالة نوح –عليه السلام– ومعاناته مع كفَّار قومه.

وفي قوله: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ إطناب، والإطناب: "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"[١١٤]؛ حيث عطف الخاص على العام، فالأصنام المخصوصة بالذكر داخلة في ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، وبذلك تكون هذه الأصنام مذكورة مرَّتين، مرَّة تحت العام، وأخرى على جهة الخصوص؛ وذلك لإظهار مكانة هذه الأصنام وعظيم شأنها في قلوب الكافرين من قوم نوح.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ معطوف على قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾، فكان مقتضى الظاهر التعبير عن ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالضمير، فعدل عن الإضمار إلى الإظهار، وسر العدول إلى الظالمين "إشعار باستحقاقهم الدعاء عليهم، وإبداء لعذره عليه السلام، وتحذير ولطف لغيرهم"(١١٥).

وهذا العطف من عطف الإنشاء على الخبر، ولكنَّ المتأمِّل يلحظ أنَّ قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ ليس المقصود به الإخبار، بل الشكاية والإعلام بعجزه ويأسه منهم؛ فهو طلب للنصرة عليهم، وعليه تكون الآية كناية عن قوله: اخذلهم وانصرني وأظهر دينك ونحوه؛ فيكون من عطف الإنشاء على الإنشاء، ويؤيد ذلك أنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- سمَّى مثل هذا التعبير دعاء، كما في قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾(١١٦)(١١٧).

وجملة ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ﴾ معطوفة على جملة ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾، وأعيد الفعل (قال)؛ لوقوع الفصل بين قولي نوح -عليه السلام- بجملة ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾، وهنا قُرنت الجملة المعطوفة بواو العطف؛ لتكون مستقلة فلا تتبع الجملة المعطوف عليها؛ وذلك للإشارة إلى أنَّ دعوة نوح -عليه السلام- حصلت بعد شكايته بقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾(١١٨).

وفي قوله: ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ما يدلُّ على أنَّ موقفه كان مع الكفر وأهله. وبهذا يتضح أنَّ دعاء نوح -عليه السلام- إنَّما كان لمصلحة دينيَّة محضة.

ثمَّ علَّل الدعاء عليهم بقوله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾. والمعنى أنَّهم لا يلدون إلَّا مَنْ سيصير فاجرًا كفَّارًا عند بلوغه؛ لأنَّ المولود منهم لا يكون فاجرًا كفَّارًا عند ولادته، ولكنَّهم سيربُّون أبناءهم على شاكلتهم؛ ومن ثَمَّ فإنَّ الأبناء سيتَّبعون ضلال آبائهم؛ فلا محل للأسى عليهم والرأفة بهم. وهذا الإخبار إخبار عن وحي؛ وذلك مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(١١٩).

وبعد أن دعا عليهم استجاب الله –تعالى– دعاءه فأغرقهم، وقد صوَّر الله نهايتهم فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾[١٢٠].

و(أنّي) بفتح الهمزة على تقدير باء محذوفة، أي: دعا بأنّي مغلوب[١٢١].

وقوله: ﴿مَغْلُوبٌ﴾، أي: غلبني الكفَّار فانتصر، وفي قوله: ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ إيجاز بالحذف، والتقدير: فانتصر لي منهم؛ لأنَّه مناسب لقوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾[١٢٢]، ولقوله تعالى متحدِّثًا عن نوح –عليه السلام– في موضع آخر: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[١٢٣].

فأجابه الله –تعالى–: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾. فجملة (فتحنا) معطوفة على جملة (دعا)، والفاء التي جاءت للتعقيب تَدُلُّ على سرعة استجابة الله –عَزَّ وَجَلَّ– لرسوله –عليه السلام– فكان إرسال الطوفان عليهم بهذه الكيفيَّة المحكمة والسريعة.

وإنَّما جاء الإخبار باستجابة الله –عَزَّ وَجَلَّ– لدعاء نوح –عليه السلام– في سورة القمر وليس سورة نوح؛ لأنَّ سورة القمر تقوم على بيان نهايات الأقوام المكذِّبة لرسلهم، أمَّا سورة نوح فهي مبنيَّة على بيان معاناة نوح –عليه السلام– مع الكافرين من قومه في دعوته لهم وإصراره على هدايتهم، وإصرارهم مع ذلك على الكفر والعناد.

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء نوح –عليه السلام– في الآيات السابقة ما يلي:

أ– التوسُّل إلى الله –عَزَّ وَجَلَّ– بالربوبيَّة.

ب– مجيء الدعاء لمصلحة دينيَّة محضة من أسباب استجابته.

ج– ذِكْر سبب الدعوة التي يدعو بها الداعي؛ وذلك لتمهيد مبادئ إجابة دعائه، كذِكْر أفعال الكفَّار أثناء الدعاء عليهم.

د- اقتران الدعاء بحسن نيَّة؛ حيث ذكر نوح -عليه السلام- المفسدة الدينيَّة التي ستحدث في حالة عدم استجابة دعائه، فقال متحدثًا عن كفَّار قومه: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

هـ- الدعاء له تأثير في حصول المطلوب؛ حيث يقدِّر الله -عَزَّ وَجَلَّ- الأشياء بالدعاء.

٢- موسى عليه السلام:

لمَّا نكل بنو إسرائيل عن القتال مع موسى -عليه السلام- غضب عليهم، وقال داعيًا متوسِّلًا ضارعًا: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(١٢٤)، أي: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾ أحدًا ألزمه قتالهم ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ "بأنْ تحكُم لنا بِما نَسْتَحِقُّ وتحكُم عليهِم بِما يَسْتَحِقُّون، وهو في معنى الدعاء عليهم"(١٢٥). ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى -عليه السلام- في هذه الآية ما يلي:

أ- تقديم الاعتذار بين يدي الطلب.

ب- بث الحزن والشكوى إلى الله -تعالى- مع رقة القلب التي بمثلها تُستجلبُ الرحمةُ وتُسْتَنزَلُ النُّصرة.

ج- العدول عن الدعاء المباشر إلى ما هو في معناه.

المطلب الثاني: ما يتعلَّق بكفَّار قوم غير قومهم:

ورد هذا في دعاء موسى -عليه السلام- على فرعون وملئه؛ إذ دعا عليهم بأن يمحق الله أموالهم ويهلكها ويحكم الربط على قلوبهم فلا يدخلها الإيمان؛ فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾(١٢٦). فجاءت الإجابة من الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١٢٧)؛ لأنَّ الدعاء كان من موسى، وهارون يُومِّن عليه، والمؤمِّن أحد الداعيَيْن.

والكلمتان ﴿ٱطۡمِسۡ﴾ و﴿ٱشۡدُدۡ﴾ توحيان بالعنف والشدَّة في العقوبة؛ فالطمس: استئصال أثر الشيء[١٢٨]، والشدّ: الاستحكام بقوة[١٢٩].

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى –عليه السلام– في الآية السابقة ما يلي:

١– التوسُّل بـ:

أ– الربوبيَّة.

ب– تدبير الله –عَزَّ وَجَلَّ– وعطائه ومنعه؛ فموسى –عليه السلام– قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ﴾، ولم يقل: يا رب، فرعون عنده كذا، وله من السلطان والأموال كذا؛ لأنَّ الله –عَزَّ وَجَلَّ– هو المعطي.

ج– استحضار أنَّ الكفرة والظلمة آلة لنفوذ قضاء الله وقدره، فالأمور ليست بأيديهم؛ لذا يجب اللجوء إلى الله –تعالى– بالخوف والرجاء.

٢– ذِكْر طغيان الطغاة أثناء الدعاء عليهم؛ ليكون أرجى لاستجابة الدعاء عليهم.

٣– تكرار النداء (ربَّنا) مبالغة في الضراعة إليه تعالى.

٤– أن نعلم علم اليقين أنَّ الله –عَزَّ وَجَلَّ– يقدِّر الأشياء بالدعاء؛ ففي هذه الآية وغيرها من الآيات الكثيرة[١٣٠] دليل على تأثير الدعاء في حصول المطلوب.

المطلب الثالث: ما يتعلق بأنفسهم وأهليهم، ويشمل:

أولًا: ما يتعلق بالنفس:

١– طلب المغفرة والرحمة:

اشتمل هذا الطلب أو الدعاء على رجاء تحقيق غاية المنى؛ لأنَّ المغفرة تحقِّق الستر، والصفح عمَّا وقع، والرحمة تحقِّق العون والتوفيق والهداية الدائمة.

وقد جاء هذا الطلب من نوح وموسى –عليهما السلام– وهو عند كلٍّ منهما يختلف عن الآخر على النحو الآتي:

أ– نوح عليه السلام:

طلب نوح –عليه السلام– المغفرة والرحمة في قوله: ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن

مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(١٣١).

وجاء دعاء نوح –عليه السلام–: ﴿أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ خاليًا من التوكيد، في حين جاء مثل دعاء آدم وحواء –عليهما السلام– بمؤكِّدين هما اللَّام ونون التوكيد الثقيلة؛ حيث قالا: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(١٣٢)؛ لأنَّ المقام يقتضي ذلك؛ ففعل نوح –عليه السلام– ليس بمعصية كمعصية آدم عليه السلام؛ لأنَّه فهم أنَّ ابنه الكافر داخل مع أهله الذين وعد الله بنجاتهم، فبيَّن الله –عَزَّ وَجَلَّ– له أنَّه ليس من أهله. ومن ثَمَّ جاء توكيد الكلام بحسب ما يقتضيه المقام؛ فقد لا يحتاج الكلام إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكِّد واحد أو أكثر.

ولدعاء نوح –عليه السلام– السابق سمات تداوليَّة أخرى سترد –إن شاء الله– في المسألة التالية التي عُنوِنتْ بـ(الجمع بين الاعتراف بالذنب وطلب المغفرة في الدعاء).

ب– موسى عليه السلام:

طلب موسى –عليه السلام– المغفرة والرحمة في موضعين: **أحدهما:** عندما كان على موعد مع ربّه –عَزَّ وَجَلَّ– فذهب إليه ومكث أربعين يومًا، ثمَّ رجع إلى قومه، فوجدهم عبدوا العجل، وتبيَّن له أنَّ أخاه هارون بريء من عملهم، وأنَّه لم يأل جهدًا في تذكيرهم، وتحذيرهم ممَّا هم عليه؛ عندها دعا ربَّه –عَزَّ وَجَلَّ– قائلًا: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(١٣٣).

والموضع الآخر: حينما اختار من قومه سبعين رجلًا، ووعدهم الله ميقاتًا يحضرون فيه، فلمَّا حضروا قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾(١٣٤)؛ فتجرَّؤوا على الله جرأة كبيرة، وأساؤوا الأدب مع الله؛ ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾(١٣٥).

فدعا موسى –عليه السلام– ربَّه قائلًا: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ* وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ

إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[١٣٦]. وتقديم المسند إليه في قوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾؛ لإفادة معنى القصر والتخصيص، أي: أنت وحدك لا غيرك.

والإضافة إلى الضمير في قوله: ﴿وَلِيُّنَا﴾ تنبئ عن عظيم التضرُّع والتبتُّل وحسن التوسُّل إلى الله تعالى.

وقد استهلَّ موسى –عليه السلام– في الموضعين السابقين دعاءه بلفظ ﴿رَبِّ﴾ دون أن يذكر حرف النداء (يا) استشعارًا بقرب المنادى إلى نفسه. وإيثار كلمة ﴿رَبِّ﴾؛ للدلالة على معنى التربية والرعاية، والإضافة إلى ضمير المتكلِّم توحي بتذلل موسى –عليه السلام– لله، وحرصه على إجابة دعائه.

وحذْف المفعول به للفعل (اغفر)؛ لإفادة العموم وشموله لغير محدد، فلم يذكر مفعولًا به معيَّنًا حتى لا ينحصر الحكم به، والمعنى: اغفر لنا كلّ ذنوبنا وتقصيرنا.

وقد جاء طلب المغفرة والرحمة هنا طلبًا صريحًا، خلافًا لدعاء آدم ونوح عليهما السلام؛ ولعلَّ سبب ذلك ما تقدَّم دعاء آدم ونوح –عليهما السلام– من تقصير في بعض الأمور؛ فآدم خالف أمر الله وأكل من الشجرة، ونوح دعا لابنه الكافر بالنجاه، وهذا بخلاف دعاء موسى عليه السلام؛ فلم يُسبق في الموضعين السابقين بما يدلُّ على المخالفة أو التقصير منه على وجه الخصوص.

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى –عليه السلام– في الموضعين السابقين ما يلي:

١– البدء بالدعاء للنفس عند الدعاء للنفس والغير. وهذا ما فعله الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فعن أُبيِّ بن كَعْب (ت٣٠هـ): "أنَّ رَسولَ الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– كانَ إذا ذَكَرَ أحدًا، فَدعَا لهُ، بَدأ بنَفْسِهِ"[١٣٧].

٢– أن يتخير المؤمن من أسماء الله –تعالى– ما يناسب حاجته، فيدعوه به. وقد توسَّل موسى –عليه السلام– في قبول دعائه هنا برحمة الله ومشيئته وولايته وغفرانه لذنوب عباده.

٣- مجيء المغفرة قبل الرحمة في قوله: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ﴾ وقوله: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ﴾؛ وذلك لأنَّ المغفرة رحمة خاصَّة بالمؤمنين في حين أنَّ الرحمة لعموم الخلق، علاوة على أنَّ "المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة"(١٣٨).

٤- التوسُّل إلى الله -تعالى- في قبول الدعاء بالتوبة إليه؛ فقد قال موسى -عليه السلام-: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾، أي: تبنا إليك.

٥- العلم بصفات الله تعالى. وقد علم موسى -عليه السلام- أنَّ ربه كريم؛ فلم يكتف بطلب المغفرة والرحمة، بل استزاد من الكريم فقال: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾.

ولأهمِّيَّة الدعاء بطلب المغفرة والرحمة أرشد الله -عَزَّ وَجَلَّ- رسوله محمَّدًا -صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى أن يدعوه بهذا الدعاء على وجه الخصوص بقوله:﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(١٣٩)، وفي هذا الدعاء حُذِف المفعول به لكلٍّ مِنْ الفعلين ﴿ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ﴾؛ وذلك -كما سبق- لإفادة العموم فيشمل كلّ ذنب وتقصير. ثمَّ خُتم الدعاء بـ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، وهو تذييل مناسب؛ لأنَّ المغفرة تُعدُّ رحمة ولكنَّها خاصَّة بالمؤمنين.

٢- الجمع بين الاعتراف بالذنب وطلب المغفرة في الدعاء:

جاء هذا الجمع من نوح وموسى -عليهما السلام- وهو عند كلٍّ منهما يختلف عن الآخر على النحو الآتي:

أ- نوح عليه السلام:

قال نوح -عليه السلام- معترفًا بذنبه: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(١٤٠). وهذا الدعاء صدر من نوح -عليه السلام- بعد أن سأل ربَّه أن ينجِّي ابنه من الغرق؛ بسبب وعد الله له بأن ينجِّي معه أهله، فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾(١٤١)؛ فقال الله -عَزَّ وَجَلَّ-

له: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ﴾(١٤٢). ومن ثمَّ فدعاء نوح –عليه السلام– السابق متضمّن سؤال الله المغفرة والتجاوز عن الذنب. وفي ذلك قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): "فإنَّ الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب، وتارة يسأل بصيغة الخبر: إمَّا بوصف حاله، وإمَّا بوصف حال المسؤول، وإمَّا بوصف الحالين، كقول نوح –عليه السلام–: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فهذا ليس صيغة طلب، وإنَّما هو إخبار عن الله أنَّه إن لم يغفر له ويرحمه خَسِر، ولكنَّ هذا الخبر يتضمَّن سؤال المغفرة"(١٤٣). ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء نوح –عليه السلام– هنا ما يلي:

١– التوسُّل إلى الله –تعالى– بـ:

أ– الربوبيَّة.

ب– العمل الصالح؛ ومنه: الاعتراف بالذنب(١٤٤). فاعتراف نوح –عليه السلام– بأنَّه سأل الله –عَزَّ وَجَلَّ– ما ليس له به علم– عمل صالح.

ج– تفويض الأمر إليه تعالى: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

٢– سرعة التوبة إلى الله –عَزَّ وَجَلَّ– عند الوقوع في الذنب.

٣– تقديم الاعتراف بالذنب على طلب المغفرة والرحمة.

٤– مجيء المغفرة قبل الرحمة أولى، كما سبق بيان ذلك(١٤٥).

٥– التعريض بالدعاء من غير تصريح بالسؤال، وهذا من باب حسن الأدب مع الله تعالى. وفي ذلك قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): "وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى –عليه السلام–: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٖ فَقِيرٞ﴾(١٤٦)، وقد يتقدَّمه مع ذلك وصف المسؤول، كقول ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١٤٧)، وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول، كقول الشاعر:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ(١٤٨)"(١٤٩).

ب- موسى عليه السلام:

قال الله -تعالى- مخبرًا عن ندم موسى -عليه السلام- على ما كان من قتل النفس التي قتلها: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝١٦ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾[١٥٠]. قال الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) معقِّبًا على قراءة عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ): (فَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيرًا): "فقد تكون (لَنْ أكُونَ) عَلَى هَذَا المعنى دُعاءً من موسى"[١٥١]. ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى -عليه السلام- في الآيتين السابقتين ما يلي:

١- التوسُّل إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- بـ:

أ- الربوبيَّة: إنَّ الناظر في خطاب الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يلحظ استعمالهم لفظة (ربِّ) دون غيرها من أسماء الله الحسنى؛ وذلك لأنَّ (الرَّبَّ) في اللغة: يُطلق على المالك والسيِّد والمدبِّر والمربِّي والقيِّم والمنْعم، فالمعنى يدلُّ على الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية[١٥٢]، وفي ذلك إلماح إلى أنَّهم -عليهم الصلاة والسلام- علموا أنَّ لفظ (ربّ) يثبت ذلك لله سبحانه، في حين أنَّ أيَّ لفظ آخر من ألفاظ الجلال لا يثبت ذلك.

ب- العمل الصالح؛ ومنه: الاعتراف بالذنب. فاعتراف موسى -عليه السلام- بأنَّه ظلم نفسه بالقتل- عمل صالح[١٥٣].

ج- إنعامه -تعالى- على العبد.

٢- سرعة التوبة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- عند الوقوع في الذنب. وفِعْل موسى -عليه السلام- هنا فيه تعليم كيف يتوب العبد من ذنبه، يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾، فيعترف بالذنب، ويرجع إلى الله سبحانه، ويطلب منه المغفرة.

٣- تقديم الاعتراف بالذنب على طلب المغفرة.

٤- مجيء الدعاء بصيغة التعريض المتضمِّنة للطلب؛ وذلك استغناء بعلم المخاطب المدعوِّ.

٣- طلبُ المغفرة مسبوقًا بطلب عدم الجعْل فتنة للكافرين:

ورد هذا الطلب مِنْ إبراهيم عليه السلام؛ إذ دعا ربَّه قائلًا: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(١٥٤).

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء إبراهيم -عليه السلام- هنا ما يلي:

أ- التوسُّل إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالربوبيَّة.

ب- الدعاء بجوامع الكلم؛ فجملة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قد يكون معناها كما قال مجاهد (ت١٠٤هـ): "ربنا لا تُعَذِّبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حقٍّ ما أصابهم هذا وما سُلِّطنا عليهم"(١٥٥)، وقد يكون معناها أيضًا كما قال مقاتل (ت١٥٠هـ): "رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُقتِّر علينا بالرزق، وتبسط لهم في الرزق، فنحتاج إليهم، فيكون ذلك فتنة لنا"(١٥٦).

ج- الثناء على الله -تعالى- قبل الدعاء؛ ليكون أرجى لاستجابة الدعاء.

٤- طلب ما يُعين على تبليغ الدعوة والقيام بأعباء الرسالة:

جاء هذا الطلب أو الدعاء من موسى ومحمَّد -عليهما السلام- وهو عند كلٍّ منهما يختلف عن الآخر على النحو الآتي:

أ- موسى عليه السلام:

لمَّا بعثه الله إلى فرعون وقومه يدعوهم لتوحيد الله وإفراده بالعباده، علم أنَّه كُلِّف أمرًا عظيمًا يحتاج معه إلى صبر عظيم؛ فقال: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾(١٥٧).

وقد حذف موسى –عليه السلام– حرف النداء في قوله: ﴿رَبِّ﴾؛ لشعوره بالقرب من ربّه، ولتعظيم المنادَى وتنزيهه، وآثر لفظ (رب)؛ لما فيه من معنى الربوبيَّة المشعر بالرعاية والولاية كما سبق بيان ذلك.

ومعنى ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ أي: وسِّعه ونوِّره ولَيِّنه بالإيمان والنبوَّة[١٥٨]. وابتدأ "موسى بهذا السؤال لِما كان يعرف من حدّته، ويعلم أنَّه لا يتمّ أمر إلا بالحلم والصبر"[١٥٩]. ومع سعة الصدر وانشراحه لا بدَّ من تيسير الله وتوفيقه؛ ولهذا دعا موسى –عليه السلام– ربَّه بذلك فقال: ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾.

وتقديم الجار والمجرور ﴿لِي﴾ على المفعول به في ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ وفي ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾؛ للاهتمام بالمقدَّم والتشويق إلى معرفة المؤخَّر الذي حقُّه التقديم.

ولمَّا علم موسى –عليه السلام– أنَّ الفصاحة والبيان مما يُعين على إقامة الحجة، دعا ربَّه أن يفتح عليه بذلك؛ فقال: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾، ثُمَّ بيَّن الغاية من دعائه هذا بقوله: ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾، وهي جملة جاءت جوابًا للطلب. وقد آثر موسى –عليه السلام– الفعل ﴿يَفۡقَهُواْ﴾ على غيره، مثل: يعلموا؛ لأنَّ الفقه أخصُّ من العلم؛ فهو يُستعمل للدلالة على العلم ببواطن الأمور ودقائقها وخفاياها.

ثمَّ دعا ربَّه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾. وتقديم الجار والمجرور ﴿لِي﴾ على المفعول به ﴿وَزِيرٗا﴾؛ للاهتمام بالمقدَّم والتشويق إلى معرفة المؤخَّر الذي حقُّه التقديم. وتقديم ﴿وَزِيرٗا﴾ على ﴿هَٰرُونَ﴾ يدلُّ على الاهتمام والاعتناء بشأن الوزارة[١٦٠].

ثُمَّ علَّل موسى –عليه السلام– طلبه لنفسه ولأخيه بقوله: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾. وقد علَّل أبو حيَّان (ت٧٤٥هـ) تقديم التسبيح على الذكر هنا بأنَّ التسبيح تنزيهه تعالى عمَّا لا يليق به، ومحله القلب، والذكر والثناء على الله بصفات الكمال محله اللسان؛ "فلذلك قُدِّم ما محلُّه القلب على ما محلُّه اللسان"[١٦١].

وهذا التعليل فيه نظر؛ لأنَّ كلًّا من التسبيح والذكر قد يكون بالقلب وقد يكون باللسان، وإنَّما قدَّم التسبيح؛ لأنَّ تنزيه الله مُقدَّم على غيره من الأمور؛ فمَنْ نزَّه الله من العيب والنقص لا يذكره إلَّا بما يليق به من الجلال والكمال(١٦٢). وتقديم الجار والمجرور (بنا) على متعلَّقه (بصيرًا) لفائدتين: إحداهما: لفظيَّة، وهي مراعاة فواصل الآيات. والفائدة الأخرى: معنويَّة، وهي التخصيص؛ لأنَّ البصر الذي عناه موسى –عليه السلام– هو ما خصَّه الله به من العناية واللطف في جميع أطوار حياته منذ كان طفلًا صغيرًا حتى وقت التبتُّل إلى الله بهذا الدعاء، كما هو صريح قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾(١٦٣)(١٦٤).

وقد ذكر موسى –عليه السلام– مبرِّرات أخرى لاختياره أخاه هارون؛ فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾(١٦٥)، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾(١٦٦). وكان خوف موسى من فرعون الذي يسلط عليه سيف التهديد بالقتل؛ قصاصًا للقتيل الذي قتله– يجعله غير قادر على الانطلاق في الكلام؛ ولذا قال: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾.

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى –عليه السلام– في الآيات السابقة– ما يلي:

١– التوسُّل بـ:

– الربوبيَّة (ربِّ). – بيان الحال، وعرض الحاجة.

– أسماء الله وصفاته (بصيرًا).

٢– طلب الأسباب المعينة على التقرُّب من الله –تعالى– وعبادته.

٣– إظهار المعرفة بالله تعالى، وإظهار الافتقار إليه ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ تعرف حالنا، وتطَّلع على ضعفنا، وقصورنا، وتعلم حاجتنا إلى العون والتدبير.

٤- إطالة السؤال، والبسط في الطلب، فقد أطال موسى -عليه السلام- سؤله، وبسط حاجته، وكشف عن ضعفه، وطلب العون والتيسير.

٥- اقتران الدعاء بحسن نيَّة؛ إذ علَّل موسى -عليه السلام- طلبه لنفسه ولأخيه بقوله: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾.

ب- نبيّنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم:

علَّمَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- نبيّنا محمَّدًا -صلَّى الله عليه وسلَّم- بعض الأدعية؛ فقال له:

١- ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾(١٦٧)، أي: أدخِلني مُدخَل صِدق "فِيمَا أَرْسَلَتْنِي بِهِ مِنْ أَمْرِكَ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ فِيمَا أَرْسَلَتْنِي بِهِ مِنْ أَمْرِكَ أَيْضًا... واجْعَلْ لي مِنْ لَدُنْكَ... حجة بَيِّنَة"(١٦٨). والمراد بكلمة (صدق) هنا مطلق الجودة، لا الصدق في الحديث(١٦٩)، أي أنَّ "مدخل الصدق ومخرج الصدق: أن يكون دخوله وخروجه حقًّا ثابتًا بالله وفي مرضاته، متَّصلًا بالظفر بالبغية وحصول المطلوب، ضدُّ مخرج الكذب ومدخله"(١٧٠).

وتقديم الجار والمجرور ﴿لِي﴾ على المفعول به في ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾؛ للاهتمام بالمقدَّم والتشويق إلى معرفة المؤخَّر الذي حقُّه التقديم. وقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ تأكيد بكون السلطان المطلوب مضافًا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- وصادرًا من عنده؛ لأهمِّيَّة هذا السلطان في إقامة الدين وإظهاره. و﴿نَّصِيرًا﴾ مبالغة في النصرة، وهو وصف مقيِّد للسلطان الذي سأله نبيُّنا صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فهو سأل سلطانًا ينصر به الحقّ ويقيم به الدين. قال قتادة (ت١١٧هـ): "إنَّ نبيَّ اللَّه علِم أن لا طاقةَ له بهذا الأمر إلَّا بسلطانٍ، فسأل سلطانًا نصيرًا لكتابِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ولحدود اللَّه، ولفرائض اللَّه، ولإقامة دين اللَّه، وإنَّ السلطان رحمةٌ من اللَّه جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضُهم على بعضٍ، فأكَل شديدُهم ضعيفَهم"(١٧١).

٢- ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(١٧٢)، يعني: زدني فهمًا في معنى القرآن(١٧٣).

٣- ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٧٤]، أي: "لا تُهْلِكْني معهم إنْ أَرَيْتَني ما يُوعَدُون"[١٧٥]. ويجوز "أن يجعله الله مع الظالمين بأن يُضلَّه ولا يلطُفَ له ويحرِمَه التوفيق، وذلك عدلٌ منه وصوابٌ في حكمته، وإنَّما أمره بأن يرغب إليه في التثبيت على الإيمان وأن لا يزيغ قلبُه بجواز وقوع ذلك منه تعالى"[١٧٦].

٤-﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾[١٧٧]. ومعنى ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ دفعهم بالإغواء إلى المعاصي. وبعد ﴿يَحْضُرُونِ﴾ حذف، والتقدير: يحضرون بسوء[١٧٨].

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء نبيّنا محمَّد -صلَّى الله عليه وسلَّم- في الآيات السابقة- ما يلي:

١- التوسُّل بالربوبيَّة (ربِّ).

٢- تكرار النداء (ربِّ) بدون حرف النداء؛ للمبالغة في تصوير قرب المنادى والضراعة إليه تعالى.

٣- طلب الأسباب المعينة على التقرُّب من الله -تعالى- وعبادته.

٤- الدعاء بجوامع الكلم؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾.

٥- طلب النجاة من بطش الظالمين:

جاء هذا الطلب من موسى عليه السلام؛ فقال الله -تعالى- متحدِّثًا عن موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٧٩]. ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى -عليه السلام- في هذه الآية ما يلي:

أ- التوسُّل بالربوبيَّة ﴿رَبِّ﴾.

ب- فعل الأسباب مع الاستغاثة بالله من موجبات الدعاء؛ كما فعل موسى عليه السلام.

ج- الفزع وسرعة الفرار إلى الله تعالى، والركون إليه بالدعاء، والتضرُّع في حال الشدة؛ فالله -عَزَّ وَجَلَّ- كريم، وهو القائل سبحانه: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾(١٨٠).

٦- دعاء الله -تعالى- في السفر والحضر:

جاء هذا الدعاء من موسى عليه السلام؛ فقال الله -تعالى- متحدِّثًا عن موسى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(١٨١). ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى -عليه السلام- في هذه الآية ما يلي:

١- التوسُّل إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالربوبيَّة.

٢- حدوث التوسُّل والطلب بحرف الترجِّي ﴿عَسَىٰ﴾ الموجبة؛ التي تُستخدم في أمر محبوب قريب الوقوع.

٣- تقديم المنادى ﴿رَبِّيٓ﴾ على الطلب ﴿يَهۡدِيَنِي﴾؛ لأنَّ الخائف الضعيف يطلب أولًا من يحميه ويلتجئ إليه.

٧- الدعاء بإظهار الافتقار لله تعالى:

قال الله -تعالى- عارضًا حال موسى -عليه السلام-: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾(١٨٢). هذا بيان لما فعله موسى -عليه السلام- وقاله بعد أن سقى للمرأتين غنمهما في مدين. فقال على سبيل التضرُّع إلى ربِّه: ربِّ، إنِّي فقير ومحتاج إلى أي خير ينزل منك عليّ، سواء أكان هذا الخير ماديًّا أم معنويًّا. ولم يكد موسى-عليه السلام- ينتهي من مناجاته لربِّه حتى جاءه الفرج. ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى -عليه السلام- في هذه الآية ما يلي:

أ- التوسُّل إلى الله -تعالى- بـ:

- الربوبيَّة، فكليم الله قال:﴿رَبِّ﴾، ولم يقل: يا الله؛ لأنَّ الألوهيَّة تقتضي معبودًا له أوامر ونواهٍ، أمَّا الرب فهو المتولي للتربية والتدبير.

- الفقر والحاجة.

ب- الدعاء بجوامع الكلم؛ فجملة: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ جامعة للثناء والشكر والدعاء.

ج- التوكيد في قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ لا يُنظر فيه إلى حال المخاطب، إنَّما يراعى فيه حال المتكلِّم ونفسيَّته والدواعي والمؤثِّرات التي تتوارد عليه. ويمكن أن يُحمل على ذلك جلُّ ما ورد من أدعية أولي العزم من الرسل، كدعاء نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾(١٨٣)، ودعاء الخليل: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾(١٨٤)، ودعاء موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾(١٨٥)؛ ففي هذه الدعوات يتَّضح أنَّ التوكيد يُنظر فيه إلى حال المتكلِّم الراجي الضارع إلى ربِّه، ومدى انفعاله بهذه الحقائق، وحرصه على إذاعتها وتقريرها، كما أحسَّها مقرَّرة أكيدة في نفسه(١٨٦).

د- بدء الدعاء بالثناء والشكر على الله ثمَّ الشروع في الطلب؛ لأنَّه أقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد.

هـ- مجيء الدعاء بصيغة التعريض المتضمِّنة للطلب؛ وذلك استغناء بعلم المخاطب المدعوّ.

٨- الالتجاء إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالدعاء حال الخوف للأمن من مكر الماكرين:

جاء هذا الالتجاء من موسى وهارون -عليهما السلام- عندما أمرهما الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يذهبا إلى فرعون؛ فقال الله -تعالى- متحدِّثًا عنهما: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(١٨٧). ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى وهارون -عليهما السلام- في هذه الآية ما يلي:

أ- التوسُّل بالربوبيَّة.

ب- الاستجارة بالله -تعالى- عند الشدائد.

ج- الإفصاح عمَّا يختلج في النفس من خوف، وتوقُّع النتائج السلبيَّة وغير المرضيَّة.

د- التعريض بالدعاء استغناء بعلم المخاطب المدعوّ.

٩- التعوُّذ بالله -عَزَّ وَجَلَّ- من كلِّ متكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب:

ورد هذا التعوُّذ من موسى عليه السلام؛ إذ قال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾(١٨٨)، وقال أيضًا: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾(١٨٩). وإنَّما خصَّ موسى -عليه السلام- مَنْ لا يُؤمن بيوم الحساب من المتكبِّرين بالاستعاذه بالله؛ "لأنَّ مَنْ لم يؤمن بيوم الحساب مصدِّقًا، لم يكن للثواب على الإحسان راجيًا، ولا للعقاب على الإساءة وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفًا؛ ولذلك كانت استجارتُه من هذا الصنف من الناس خاصَّة"(١٩٠). ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى -عليه السلام- في الآيتين السابقتين ما يلي:

أ- صدق إيمان الداعي، وقوة يقينه ووثوقه برعاية الله -تعالى- له.

ب- اطمئنان الداعي بالالتجاء إلى الله، وتسليم أمره إلى القادر على حماية العائذين به من المتكبِّرين.

ج- مجيء الدعاء بصيغة التعريض المتضمِّنة للطلب؛ وذلك استغناء بعلم المخاطب المدعوِّ.

١٠- طلب رؤية الله تعالى:

لمَّا جاء موسى لميقات ربِّه، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾(١٩١) بما كلَّمه من وحيه وأمره ونهيه، تشوق إلى رؤية ربِّه، ونزعت نفسه لذلك، حُبًّا لربِّه ومودة لرؤيته. فـ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾(١٩٢)، فأعلمه الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنه لا يطيق أن يراه، وأمره أن ينظر إلى الجبل الذي هو أمكن وأثبت وأكبر من الإنسان، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾(١٩٣). وخشي موسى -عليه السلام- أنْ يكون قد سأل ما ليس له بحق؛ فتاب إلى ربه قائلًا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١٩٤).

أمَّا سؤال بني إسرائيل رؤية الله -تعالى- فقد كان سؤال شرط؛ إذ قالوا لموسى -عليه السلام-: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾(١٩٥)، فخرجوا بقولهم هذا من الإيمان إلى الكفر، ولم تصدر منهم توبة؛ فاستحقوا عذاب الله لظلمهم وعنادهم.

ومن ثَمَّ فطلبُ موسى –عليه السلام– طلبُ مَشُوقٍ مُحِبٍّ، وطلبُ بني إسرائيل طلبُ مستهزِئٍ مكابر أَلَدّ؛ ولذلك كان جواب الله –تعالى– على طلب موسى –عليه السلام– عن طريق الإقناع والبراهين؛ إذ قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾(١٩٦)، أمَّا طلب بني إسرائيل، فجاء ردُّ الله –تعالى– عليه حاسمًا؛ فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء موسى –عليه السلام– السابق ما يلي:

أ– التوسُّل بالربوبيَّة.

ب– قصد الداعي من دعائه يؤثِّر في تصرُّف الله –تعالى– في هذا الداعي ودعائه.

١١– طلب رؤية كيفيَّة إحياء الموتى:

سأل إبراهيم –عليه السلام– ربَّه أن يريه كيفيَّة إحياء الموتى؛ فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾(١٩٧). ولم يكن ذلك عن شكٍّ منه؛ فقال الجمهور: لم يكن إبراهيم –عليه السلام– شاكًّا في إحياء الموتى قط، وإنَّما طلب المعاينة؛ وذلك لأنَّ النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أُخبرت به؛ ولهذا قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم–: "لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ"(١٩٨). وفي سبب سؤاله أقوال(١٩٩):

أحدها: أنَّه رأى جيفة تُمزِّقها سباع البر والبحر والهواء.

والثاني: أنَّه لمَّا بُشِّر بأنَّ الله اتَّخذه خليلًا أراد أن يدلَّ بهذا السؤال؛ ليجرِّب صحة الخلَّة، فإنَّ الخليل يدلُّ بما لا يدلُّ به غيره.

والثالث: أنَّه لمَّا فارق النمرود وقال له: أنا أحيي وأميت، فكر في تلك الحقيقة والمجاز، فسأل هذا السؤال.

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء إبراهيم –عليه السلام– السابق ما يلي:

أ– التوسُّل بالربوبيَّة.

ب- قصد الداعي من دعائه يؤثِّر في تصرُّف الله -تعالى- في هذا الداعي ودعائه؛ لذلك ردَّ الله -تعالى- على سؤال إبراهيم السابق بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ﴾(٢٠٠)؛ فقال الزمخشري: المقصود من هذا السؤال أن يجيب إبراهيم -عليه السلام- بما أجاب به؛ ليعلم السامعون أنَّه -عليه السلام- كان مؤمنًا بذلك عارفًا به(٢٠١). وقد دلَّه الله -عَزَّ وَجَلَّ- على طريقة يرى بها إحياء الموتى رأي العين؛ فقال له: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ﴾(٢٠٢).

١٢- طلب الخير والنفع المطلق:

جاء هذا الطلب من نوح وإبراهيم -عليهما السلام- وهو عند كلٍّ منهما يختلف عن الآخر على النحو الآتي:

أ- نوح عليه السلام:

أمر الله -تعالى- نوحًا -عليه السلام- بأن يدعوه قائلًا: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا(٢٠٣) وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾(٢٠٤). ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لهذا الدعاء ما يلي:

١- التوسُّل بالربوبيَّة.

٢- الدعاء بجوامع الكلم؛ فالقرطبي (ت٦٧١هـ) فسَّر الدعاء السابق بأنَّه "تَعْليم مِن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلَّموا قالوا ذلك. ورُوِيَ عن عليٍّ -رضي الله عنه- [ت٤٠هـ] أنَّه كان إذا دخل المسجد قال: اللَّهُمَّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبارَكًا، وأنت خير المنزلين"(٢٠٥).

٣- خَتْم الدعاء بالثناء على الله تعالى؛ ليكون أرجى لاستجابة الدعاء(٢٠٦).

ب- إبراهيم عليه السلام:

بعد أن أثنى إبراهيم -عليه السلام- على ربِّه -عَزَّ وَجَلَّ- بما هو أهله، وأسند النعم إليه، حمله ذلك على مناجاته ودعائه؛ فقال عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ

وَلَا بَنُونَ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢٠٧]. وقد بدأ إبراهيم –عليه السلام– دعاءه بلفظ ﴿رَبِّ﴾ المشعر بمعاني التربية والرعاية والولاية، وآثر الفعل (هَبْ) على ما سواه؛ ليشير إلى أنَّ استجابة الله –عَزَّ وَجَلَّ– له محض فضل منه –سبحانه وتعالى– وليست أمرًا مستحقًّا يناله بمجرَّد سعيِّه وكدِّه.

وتقديم الجار والمجرور ﴿لِي﴾ على المفعول به ﴿حُكْمًا﴾؛ للاهتمام بالمقدَّم والتشويق إلى معرفة المؤخَّر الذي حقُّه التقديم.

ثمَّ طلب الخليل –عليه السلام– من ربِّه –عَزَّ وَجَلَّ– أن يكون موفَّقًا للانضمام إلى السابقين من الأنبياء والصالحين؛ فقال: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ثمَّ قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾، أي: اجعل لي ذكرًا حسنًا في الأمم الآتية؛ ففي (اللسان) مجاز مرسل علاقته الآلية من إطلاق الآلة وإرادة ما ينشأ عنها.

وقال الرضي (ت٦٨٦هـ): "المراد بالصدق في مثل هذا المقام مطلق الجودة، لا الصدق في الحديث؛ وذلك لأنَّ الصدق في الحديث مستحسن جيِّد عندهم، حتى صاروا يستعملونه في مطلق الجودة، فيقال: ثوب صدق، وخل صادق الحموضة"[٢٠٨].

وقد استجاب الله دعاء الخليل؛ فجعله محبوبًا مقبولًا معظَّمًا مثنى عليه في جميع الملل، وخير مثال على ذلك: أنَّ المسلمين يذكرونه في التشهُّد الأخير من كلِّ صلاة ويستغفرون له.

ثمَّ يترقَّى دعاء الخليل؛ فيسأل الله قائلًا: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾، أي: اجعلني من المستحقِّين لجنَّة النعيم. وعُبِّر بلفظ (الإرث)؛ لأنَّ الجنَّة معدَّة إعدادًا صالحًا لنعيم كلِّ الإنس والجن إنْ آمنوا وأسلموا، لكن مَنْ كفر منهم وصار من أهل النار فإنَّ أهل الجنة يرثون ما كان مهيَّأ له، فيملكونه ميراثًا بلا عوض[٢٠٩].

ثمَّ دعا قائلًا: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. فـ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ جيء به تأكيدًا لذلك اليوم

وتعظيمًا لشأنه، والاستثناء هنا منقطع[٢١٠]، والمعنى: لكن مَنْ أتى الله بقلب سليم تنفعه سلامة قلبه[٢١١].

وذكر المال قبل البنين؛ لأنَّ المال أهم وأعنى في قضية الفداء.

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء إبراهيم –عليه السلام– في الآيات السابقة ما يلي:

١– الثناء على الله –تعالى– قبل الدعاء؛ ليكون أرجى لاستجابة الدعاء؛ فلمَّا حكى الله –تعالى– عن إبراهيم –عليه السلام– ثناءه عليه –تعالى– ذكر بعد ذلك دعاءه –عليه السلام– ومسألته.

٢– التوسُّل بالربوبيَّة.

٣– البدء بالدعاء للنفس عند الدعاء للنفس والغير.

٤– الدعاء بجوامع الكلم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾.

ثانيًا: ما يتعلق بالأهل:

ورد هذا الطلب أو الدعاء من نوح وإبراهيم –عليهما السلام– إذ دعا كلٌّ منهما لأهله على النحو الآتي:

١– نوح عليه السلام:

بعد أن دعا على كفَّار قومه بالهلاك والعذاب، دعا قائلًا: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[٢١٢]. وقد بدأ دعاءه بلفظ ﴿رَبِّ﴾ دون أن يذكر حرف النداء (يا) استشعارًا بقرب المنادى إلى نفسه، وآثر كلمة ﴿رَبِّ﴾؛ لدلالتها –كما سبق بيانه– على معنى التربية والعناية، وخَصَّ في دعائه طلب المغفرة؛ إظهارًا لمزيد الافتقار إليه سبحانه وتعالى. وقد بدأ بنفسه، ثمَّ بأقرب الناس له وهما والداه، ثمَّ عمَّم أهله وذويه المؤمنين، وقد عبَّر عنهم بقوله: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾، والمراد بالدخول هنا دخول مخصوص، وهو الدخول المتكرِّر الملازم، ومنه سمِّيت بطانة المرء

دَخِيلَته ودُخْلَته[٢١٣]. ثُمَّ عمَّم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات. وفي هذا التعميم إطناب؛ حيث عطف العام على الخاص؛ لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاصّ؛ لذكره مرَّتين: مرة منفردًا، ومرة مندرجًا تحت العام.

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء نوح –عليه السلام– في الآية السابقة ما يلي:

أ– التوسُّل بالربوبيَّة.

ب– الدعاء بجوامع الكلم؛ فقال ابن تيميه (ت٧٢٨هـ) مُفرِّقًا بين العفو والمغفرة: "العفو متضمِّن لإسقاط حقِّه قبلهم ومسامحتهم به، والمغفرة متضمِّنة لوقايتهم شرَّ ذنوبهم، وإقباله عليهم ورضاه عنهم؛ بخلاف العفو المجرَّد؛ فإنَّ العافي قد يعفو ولا يُقْبِلُ على مَنْ عفا عنه ولا يرضى عنه. فالعفو ترك محض، والمغفرة إحسان وفضل وجود"[٢١٤].

ج– البدء بالدعاء للنفس، ثمَّ لمَنْ سواها مرتَّب على حسب قربه منها. وذلك عند الدعاء للنفس والغير.

٢– إبراهيم عليه السلام:

من جملة ما دعا به إبراهيم –عليه السلام– ربَّه –عَزَّ وَجَلَّ– هو دعاؤه لأبيه المشرك، وكان ذلك في آيتين: إحداهما: دعا فيها لنفسه ولوالديه ثمَّ للمؤمنين؛ فقال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[٢١٥]. وقد جاء بضمير الجماعة في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ للإيذان باشتراك الكلّ في الدعاء بالمغفرة. وفي ذكر العام بعد الخاصّ –كما سبق بيانه– إطناب الغرض منه الاهتمام بشأن الخاصّ لذكره مرتين. وقد طلب المغفرة لوالده قبل أن يتبيَّن له أمره من الكفر[٢١٦]. والآية الأخرى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[٢١٧]. فلمَّا فرغ إبراهيم –عليه السلام– مِنْ طلب السعادات الدنيويَّة والأخرويَّة لنفسه، طلبها لأشدِّ الناس التصاقًا به وهو أبوه[٢١٨].

وطلب الذريَّة الصالحة؛ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢١٩]، وقد جاء الطلب بلفظ ﴿هَبْ﴾؛ "لأنَّ الهبة إحسان محض ليس في مقابلها شيء يكون عوضًا

للواهب"[٢٢٠]. وفي الآية حذف، والتقدير: هبْ لي ولدًا من الصالحين، وحُذف لدلالة لفظ الهبة عليه؛ ومِنْ ثَمَّ جاءته البشارة بإسماعيل ومن وراء إسماعيل إسحاق.

وبعد أن استجاب الله دعاءه، حمد الله على ما وهبه من نعمة الولد وما أكرمه به من إجابة الدعاء؛ فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[٢٢١]. ويتواصل دعاء إبراهيم –عليه السلام– لنفسه وذريَّته بقوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾[٢٢٢]. و﴿مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: مواظبًا عليها، ويجوز أن يكون معدِّلًا لها على سبيل المجاز من أقمت العود إذا قوّمته[٢٢٣].

و(مِنْ) في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ للتبعيض، والتقدير: ومن ذريتي مقيم الصلاة، أو: وبعضًا من ذريتي. وذلك بناء على أنَّ الله –تعالى– أعلم إبراهيم –عليه السلام– أنَّ بعضًا من ذريَّته لا يكون مقيمًا للصلاة، أو يكون علم ذلك من استقرائه عادة الله –تعالى– في الأمم السابقة[٢٢٤].

ودعا إبراهيم –عليه السلام– لذريَّته في موضعين آخرين: أحدهما دعا فيه ربَّه –تعالى– بأن يتقبَّل عمله وعمل ابنه –عليهما السلام– في رفع القواعد من البيت، وأن يُثبِّتهما على إسلامهما وإخلاصهما له –تعالى– وأن يجعل من ذريَّتهما أمَّة مسلمة، وأنْ يبصِّرهما بمعالم عبادتهما له تعالى، وأنْ يتجاوز عن ذنوبهما، وأن يبعث في ذريَّتهما رسولًا منهم. وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٢٢٥]. وفي هذا الدعاء تكرَّر النداء (ربَّنا) ثلاث مرات. وذُكر أيضًا من أسماء الله الحسنى: السميع العليم– التوَّاب الرحيم– العزيز الحكيم. كما ذُكر ضمير المخاطب (أنت) العائد على الله –تعالى– ثلاث مرات، وكاف الخطاب الراجعة إليه تعالى ست مرات. واستتر

الضمير الراجع إليه تعالى في قوله: "تَقَبَّلْ... وَٱجْعَلْنَا... وَأَرِنَا... وَتُبْ... وَٱبْعَثْ". ومن ثمَّ فالدعاء يُظلَّل بأسمائه وصفاته تعالى، وفي هذا غاية التضرُّع إليه تعالى.

والموضع الآخر دعا فيه قائلًا: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٢٢٦)؛ فقوله: ﴿ٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: اجعل أفئدة من أفئدة الناس تسرع إلى بيت الله الحرام وأهله حُبًّا وشوقًا. والفعل ﴿تَهْوِىٓ﴾ يدلُّ على السرعة الشديدة؛ لأنَّها نزول من علو إلى سُفل، كما يدلُّ على أنَّ الإنسان لا يملك شيئًا من أمر نفسه في الحنين إلى مكَّة وما فيها.

ومِنْ أهم السمات التداوليَّة لدعاء إبراهيم –عليه السلام– في الآيات السابقة ما يلي:

أ– التوسُّل بالربوبيَّة.

ب– البدء بالدعاء للنفس، ثمَّ لمَنْ سواها مرتَّب على حسب قربه منها. وذلك عند الدعاء للنفس والغير.

ج– الدعاء بجوامع الكلم؛ فدعاء إبراهيم –عليه السلام–: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ اشتمل على ثلاثة أشياء: "على أنَّ الولد غلام ذكر، وأنَّه يبلُغ الحُلُم، وأنَّه يكون حليمًا"(٢٢٧).

د– الثناء على الله –تعالى– وحمده بين دعوات الداعي، كقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾(٢٢٨).

هـ– الثناء على الله –تعالى– آخر دعوات الداعي، كقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ فـ(العزيز) هو القادر الذي لا يُغلب، و(الحكيم) هو العالم الذي لا يجهل شيئًا(٢٢٩).

و– تظليل الدعاء بأسماء الله –تعالى– وصفاته؛ ليكون أرجى لاستجابة الدعاء.

الخاتمة:

إنَّ مصطلح الدعاء –بعد تحريره وتمييزه– يختلف اختلافًا بيِّنًا عن كثير من المصطلحات التي يُظن أنَّها مرادفة له كالنداء والسؤال والذكر والأمر والنهي. وفي هذا البحث قمتُ بتحليل دعوات أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم تحليلًا تداوليًّا بغية الوصول إلى أسرارها التداوليَّة، وما فيها من تناسب ومقاصد وسمات تداوليَّة، وفيما يلي أهم سمات الدعاء التداوليَّة المستخلصة من دعاء أولي العزم من الرسل في القرآن الكريم:

أولًا: السمات التداوليَّة المشتركة بين جميع أدعية أولي العزم من الرسل، وتنقسم إلى:

١– السمات المتعلِّقة بنصِّ الدعاء، وهي:

أ– لغة الدعاء تمتاز بالدقَّة في اختيار ألفاظها ووضعها في موضعها المناسب. والغاية من دقَّة الوضع هي الدقَّة في إيراد المعنى وتحديده، دون زيادة أو نقصان. ومن أمثلة ذلك أن يتخير الداعي من أسماء الله –تعالى– ما يناسب حاجته، فيدعوه به.

ب– العبارة أو الجملة تأخذ دقّتها في تناسب نظمها ودقة حروفها وحسن ضمائرها بحيث لا يختل المعنى، بل يزداد دقَّة ووضوحًا، ومن ذلك تقديم الأهمّ على المهمّ في دعاء أولي العزم من الرسل، وهذا يرد كثيرًا في دعواتهم، ومن ذلك قول موسى–عليه السلام–: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾. فقدَّم التسبيح على الذكر؛ لأنَّ تنزيه الله مُقدَّم على غيره من الأمور؛ فمَنْ نزَّه الله من العيب والنقص لا يذكره إلَّا بما يليق به من الجلال والكمال.

ج– نصُّ الدعاء متميِّز في بنائه المحكم وصياغته الدقيقة؛ حيث تترابط كلماته وتتلاحم جمله وعباراته، بحيث تصير الأولى مؤدِّية إلى الثانية، والثانية مترتِّبة على الأولى ومتناسلة منها، ومن ذلك خَتْم الدعاء بما يناسب أوَّله في المعنى، وهو ما يُسمَّى (تناسب الأطراف).

د– الدعاء تارة يكون بصيغة الطلب، وتارة يكون بصيغة الخبر المتضمِّن للطلب؛ فحري بالمؤمن أن يجمع بين هذين النوعين في سؤاله، ورغبته.

هـ- الدعاء صورة من صور الإيجاز البديع؛ لذا يُستحب الجوامع من الدعاء.

و- توكيد الكلام يكون بحسب ما يقتضيه المقام؛ فقد لا يحتاج الكلام إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكِّد واحد أو أكثر.

٢- السمات المتعلِّقة بالمتكلِّم الداعي والمخاطب المدعوّ، وهي:

أ- السلطة في الأدعية لا ترجع إلى المتكلِّم/ الداعي، وإنَّما ترجع إلى المخاطب/ المدعوّ؛ إذ الدعاء خطاب يتوجه به الداعي متضرعًا قانتًا إلى الله -تعالى- راجيًا منه أن يجيب دعاءه.

ب- لجوء أولي العزم من الرسل إلى الدعاء في مواطن الشدَّة والرخاء؛ حيث جعلوه منهج حياتهم في دفع الضرر، وجلب المنفعة، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، كقول الله -تعالى- متحدِّثًا عن موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ج- أدعية أولي العزم من الرسل تضمَّنت مطالبهم العالية ومقاصدهم العظيمة التي اقتضى تنوعها تنوع الأسلوب.

د- أدعية أولي العزم من الرسل تنبئ عن قدر كبير من مشاعرهم النفسيَّة، كالخوف والرجاء والرغبة والرهبة والتعظيم والإجلال والخضوع لله تعالى.

هـ- عِلْم الداعي بصفات الله تعالى. ومن أمثلة ذلك أنَّ موسى -عليه السلام- عَلِم أنَّ ربه كريم، فلم يكتف بطلب المغفرة والرحمة، بل استزاد من الكريم فقال: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ﴾.

و- التوسُّل إلى الله -تعالى- في قبول الدعاء بأسماء الله وصفاته.

ز- إيثار لفظ (الرب) في الدعاء؛ لما في ذلك من استشعار معاني التربية والإنعام والتفضُّل على المربوب.

ح- الدعاء لم يرد إلَّا مُتصدِّرًا بلفظ ﴿رَبّ﴾ الذي حُذِف قبله حرف النداء، لشعور الداعي بالقرب من ربِّه، ولتعظيم المنادى المدعوّ وتنزيهه.

ط- الله -تعالى- يُسأل مسألة القريب المناجى، لا مسألة البعيد المنادى؛ لذا يُحذف حرف النداء في الدعاء؛ للإشارة إلى قرب المنادى، وللدلالة على أنَّه حاضر مع المنادي غير غافل عنه.

ي- نفس الداعي لا تطمح إلَّا لمعالي الأمور، ومصالح الدين، وما سوى ذلك فهو تبَع؛ فدعاؤه لتحصيل منافع الدنيا، إنَّما هي ليُستعان بها على أداء العبادات وإقامة الطاعات.

ك- عدم يأس الداعي وقنوطه من رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ- بل تفاؤله بما عند الله -عَزَّ وَجَلَّ- من خير.

ل- صدق إيمان الداعي، وقوة يقينه ووثوقه برعاية الله -تعالى- له. وبرز هذا جليًّا في قول موسى -عليه السلام-: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

م- اطمئنان الداعي بالالتجاء إلى الله، وتسليم أمره إلى القادر على كلِّ شيء.

ن- التوكيد غالبًا يكون تبعًا لحال المخاطب، ولكن ثمَّ أسلوب من التوكيد لا يُنظر فيه إلى حال المخاطب، إنَّما يراعى فيه حال المتكلِّم ونفسيَّته والدواعي والمؤثرات التي تتوارد عليه، ويمكن أن يُحمل على ذلك جلُّ ماورد من أدعية أولي العزم من الرسل، كدعاء موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

س- قصد الداعي من دعائه يؤثِّر في تصرُّف الله -تعالى- في هذا الداعي ودعائه. وكان هذا واضحًا في سلامة قصد إبراهيم -عليه السلام- حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وسلامة قصد موسى -عليه السلام- حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

ع- اقتران الدعاء بحسن نيَّة. وقد ذُكر صراحة في بعض الأدعية ما يدل على ذلك، كقول عيسى -عليه السلام- معلِّلًا طلبه نزول المائدة: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا﴾.

ف- البدء بالدعاء للنفس، ثمَّ لمَنْ سواها مرتَّب على حسب قربه منها. وذلك عند الدعاء للنفس والغير.

ثانيًا: السمات التداوليَّة غير المشتركة بين جميع أدعية أولي العزم من الرسل، وتنقسم إلى:

١- السمات المتعلِّقة بنصِّ الدعاء، وهي:

أ- تكرار النداء (ربِّ) أو (ربَّنا) بدون حرف النداء؛ للمبالغة في تصوير قرب المنادى والضراعة إليه تعالى.

ب- حدوث التوسُّل والطلب بحرف الترجِّي ﴿عَسَىٰ﴾ الموجبة؛ التي تُستخدم في أمر محبوب قريب الوقوع.

ج- الثناء باب شريف عظيم، وهو أهل أن يُبتدأ به الدعاء أو يُمزج به أو يُختم به؛ ليكون أرجى لاستجابة الدعاء.

د- ذِكْر سبب الدعوة التي يدعو بها الداعي؛ وذلك لتمهيد مبادئ إجابة دعائه، كذِكْر أفعال الكفَّار أثناء الدعاء عليهم.

هـ- العدول عن الدعاء المباشر إلى ما هو في معناه، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾؛ فهو في معنى الدعاء على القوم الفاسقين المقصودين في الآية.

٢- السمات المتعلِّقة بالمتكلِّم الداعي والمخاطب المدعوِّ، وهي:

أ- من حسن الدعاء وأدبه أن يكون بصيغة التعريض المتضمِّنة للطلب؛ وذلك استغناء بعلم المخاطب المدعوِّ.

ب- الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُثنى عليه بـ(ألوهيَّته) المتضمِّنة إثبات ما يجب له من الصفات العلى، والأسماء الحسنى، ويُسأل بـ(ربوبيَّته) المتضمِّنة قدرته، وإحسانه، وتربيته عبده، وإصلاح أمره، وقد اجتمعت الصيغتان معًا في موضع واحد في دعاء سيدنا عيسى -عليه السلام- إظهارًا لغاية التضرُّع وشدَّة الخضوع، وليكون تضرُّعه أهلًا للقبول والإجابة.

ج- التوسُّل إلى الله -تعالى- في قبول الدعاء بالعمل الصالح؛ ومنه: الاعتراف بالذنب والتوبة إليه تعالى.

د- التوسُّل إلى الله -تعالى- في قبول الدعاء ببيان الحال.

هـ- التوسُّل إلى الله -تعالى- في قبول الدعاء على الكفَّار والظلمة باستحضار أنَّ الكفَّار والظلمة آلة لنفوذ قضاء الله وقدره، فالأمور ليست بأيديهم؛ لذا يجب اللجوء إلى الله -تعالى- بالخوف والرجاء.

و- تظليل الدعاء بأسماء الله -تعالى- وصفاته؛ ليكون أرجى لاستجابة الدعاء.

هوامش البحث:

(١) من الآية: ٩٠ من سورة الأنعام.

(٢) د. مسعود صحراوي، التداوليَّة عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلاميَّة" في التراث اللساني العربي: ص٢٦، بيروت، دار الطليعة، ط: الأولى، ٢٠٠٥م.

(٣) د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص: ص٢١، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.

(٤) جواد ختام، التداولية- أصـــولها واتجاهاتها: ص١٧، عمان، دار كنوز المعرفة، ط: الأولى، ١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م.

(٥) ينظر: د. مســعود صــحراوي، التداوليَّة عند العلماء العرب دراســة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلاميَّة" في التراث اللساني العربي: ص ١٦-١٧.

(٦) د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص: ص٢٠.

(٧) فرانســواز أرمينكو، المقاربة التداولية: ص٨، ترجمة: ســعيد علوش، الرباط، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٧م.

(٨) د. مســعود صــحراوي، التداوليَّة عند العلماء العرب دراســة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي: ص ١٨٥-١٨٦.

(٩) د.نرجس باديس، المشيرات المقاميَّة في اللغة العربيَّة: ص ٤٠، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٩م.

(١٠) د.عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة: ص ٢٩، الدار البيضـــاء، دار توبقال، ط: الأولى، ٢٠٠٠م.

(١١) السابق: ص ٣٠.

(١٢) د. محمَّد الشاوش، أصول تحليل الخطاب- في النظريَّة النحويَّة العربيَّة: (٢/ ٨٤٦)، تونس، المؤسسة العربيَّة للتوزيع، ط: الأولى، ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.

(١٣) السكَّاكي، مفتاح العلوم: ص ٣١٨- ٣١٩، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

(١٤) أبو الثناء الأصبهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: (٢/ ١٠)، تحقيق: محمَّد مظهر بقا، السعودية، دار المدني، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

(١٥) السابق: (٢/ ٨٦).

(١٦) ينظر: الخطابي، شأن الدعاء: ص٤، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط: الثالثة، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م، ابن العربي، أحكام القرآن: (٢/٣٥٠-٣٥١)، راجع أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: محمَّد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ= ٢٠٠٣م، وابن القيم، بدائع الفوائد: (٢/٣)، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

(١٧) سيبويه، كتاب سيبويه: (١/ ١٤٢)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

(١٨) د. محمَّد الشاوش، أصول تحليل الخطاب- في النظريَّة النحويَّة العربيَّة: (٢/ ٨٧١).

(١٩) الأزهري، تهذيب اللغة: (٣/ ٧٦)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢٠) قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة: "لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة". ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (١٠/٢٣٧- ٢٣٨)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم، وساعده: ابنه محمد، المدينة المنورة بالسعوديَّة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

(٢١) موفق الدين ابن يعيش، شرح المفصَّل للزمخشري: (٥/٥٣)، قدَّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

(٢٢) أبو هلال العسكري، الفروق اللغويَّة: ص٣٧، حقَّقه وعلَّق عليه: محمَّد إبراهيم سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة، د.ت.

(٢٣) من الآية: ٢١ من سورة القصص.

(٢٤) من الآية: ٦٠ من سورة غافر.

(٢٥) ابن منظور، لسان العرب: (١/٧٥٦)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت، دار صادر، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٢٦) ينظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/٤٤)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

(٢٧) ينظر: البقاعي، نظم الدُّرر في تناسُب الآيات والسُّور: (١/٥)، خرَّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزَّاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

(٢٨) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (١/٣٦)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط: الأولى، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م.

(٢٩) ينظر: البقاعي، نظم الدُّرر في تناسُب الآيات والسُّور: (٥/١).

(٣٠) السابق: (٧/١).

(٣١) ينظر: جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة: ص٣٥٤، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط: الأولى، ١٩٠٤م.

(٣٢) من الآية: ١٢٨ من سورة البقرة.

(٣٣) من الآية: ١٥٥ من سورة الأعراف.

(٣٤) من الآية: ١١٤ من سورة المائدة.

(٣٥) الآية: ١١٨ من سورة المؤمنون.

(٣٦) الآية: ٥ من سورة الممتحنة.

(٣٧) أ.د. فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ص٧٤، عمان، دار عمار، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

(٣٨) الآية: ١٢٩ من سورة البقرة.

(٣٩) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: (٦٢٦/١)، تحقيق: صدقي محمَّد جميل، وزهير جعيد، وعرفان العشا حسّونة، بيروت، دار الفكر، ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م.

(٤٠) الآية: ١٢٧ من سورة البقرة.

(٤١) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب: (١٢١/٢٢)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: الثالثة،١٤٢٠هـ.

(٤٢) من الآية: ١١٣ من سورة المائدة.

(٤٣) من الآية: ١١٣ من سورة المائدة.

(٤٤) من الآية: ١١٤ من سورة المائدة.

(٤٥) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب: (٤٦٣/١٢).

(٤٦) الآية: ٤٠ من سورة إبراهيم.

(٤٧) الآية: ١٢٦ من سورة البقرة.

(٤٨) الآية: ٣٥ من سورة إبراهيم.

(٤٩) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٢٤١/١).

(٥٠) الآية: ٢٦ من سورة المؤمنون.

(٥١) الآية: ١٠ من سورة القمر.

(٥٢) أي: لا تذر على الأرض من الكافرين مَنْ يسكن دارًا، أو لا تذر عليها من الكافرين مَنْ يدور ويتحرك.

(٥٣) الآية: ٢٦ من سورة نوح.

(٥٤) من الآية: ٢٥ من سورة المؤمنون.

(٥٥) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: (١٩٩/٤)، بيروت، دار الكتاب العربي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: (١٦٩/٨)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت

(٥٦) من الآية: ٩ من سورة القمر.

(٥٧) من الآية: ٢٤ من سورة نوح.

(٥٨) من الآية: ٢٨ من سورة نوح.

(٥٩) من الآية: ٢٣ من سورة نوح.

(٦٠) من الآية: ٢٣ من سورة نوح.

(٦١) من الآية: ٢٤ من سورة نوح.

(٦٢) من الآية: ٢٦ من سورة نوح.

(٦٣) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: (٤٨٣/٢)، وضع حواشيه: عبد الغني محمَّد علي الفاسي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

(٦٤) ابن المعتز، البديع في البديع: ص٣٩، بيروت، دار الجيل، ط: الأولى، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

(٦٥) من الآية: ٤٥ من سورة هود.

(٦٦) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٨٥/١٢)، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤هـ.

(٦٧) الآية: ٣٧ من سورة إبراهيم.

(٦٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢٤٢/١٣).

(٦٩) الآية: ١٢٦ من سورة البقرة.

(٧٠) أ.د.أحمد محمَّد فارس، النداء في اللغة والقرآن: ص٨٠، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

(٧١) د.عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم: ص١٩٠، عمان، المكتبة الأموية، ط: الرابعة، ١٩٨٣م.

(٧٢) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (٢١٣/٣).

(٧٣) عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني، البلاغة العربية: (٢٤٢/١)، دمشـــق، دار القلم، ط: الأولى، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.

(٧٤) موفق الدين ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري: (٣٤٩/١).

(٧٥) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: (٦١٢/١).

(٧٦) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (٢٨٤/١٠).

(٧٧) من الآية: ٣٥ من سورة إبراهيم.

(٧٨) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب: (٤٩/٤).

(٧٩) ينظر: السابق: (٤٩/٤).

(٨٠) من الآية: ٧ من سورة القارعة.

(٨١) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: (١٨٦/١)، ضـــبطه وصـــحَّحه ورتَّبه: مصـــطفى حســـين أحمد، القاهرة، دار الريان للتراث، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

(٨٢) د.عبد الله خضـــر حمد، الكفاية في التفســـير بالمأثور والدراية: (٢٢٣/٣)، بيروت، دار القلم، ط: الأولى، ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م.

(٨٣) الآية: ١٢٤ من سورة البقرة.

(٨٤) الشـــنقيطي، أضـــواء البيان في إيضـــاح القرآن بالقرآن: (٢٤٩/٢)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

(٨٥) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (٢٣٥/٣).

(٨٦) ينظر: النيسـابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (١٩٨/٤)، تحقيق: الشـيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

(٨٧) الآية: ١٢٩ من سورة البقرة.

(٨٨) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (١١٦/٢-١١٧).

(٨٩) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: (٦٢٥/١).

(٩٠) من الآيتين: ٣٥-٣٦ من سورة إبراهيم.

(٩١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢٣٨/١٣).

(٩٢) الشوكاني، فتح القدير: (١٣٤/٣)، دمشق، دار ابن كثير، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

(٩٣) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: (٥٥٨/٢).

(٩٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: (٥١/٥).

(٩٥) من الآية: ٥٤ من سورة الأعراف.

(٩٦) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (٣٧/١).

(٩٧) من الآيتين: ٣٥-٣٦ من سورة إبراهيم.

(٩٨) محمَّد أبو زهرة، زهرة التفاسير: (٢٩٣٢/٦)، دار الفكر العربي، د.ت.

(٩٩) من الآية: ٢٣ من سورة مريم.

(١٠٠) ينظر: د. أحمد بدوي، من بلاغة القرآن: ص١٢٩-١٣٠، القاهرة، نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

(١٠١) الآية: ١١٤ من سورة المائدة.

(١٠٢) من الآية: ١١٢ من سورة المائدة.

(١٠٣) من الآية: ١١٢ من سورة المائدة.

(١٠٤) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: (٤١١/٤).

(١٠٥) عبد الرحمن السعدي، تفسير السعدي: ص٢٤٩، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

(١٠٦) ينظر: أبو المظفر السمعاني، تفسير القرآن: (٣٠٦/١)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن، ط: الأولى، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

(١٠٧) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (٢١٣/٣).

(١٠٨) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٠٨/٧).

(١٠٩) ينظر: السابق: (١٠٨/٧).

(١١٠) ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغويَّة: ص١٦٦.

(١١١) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: (٩٨/٣).

(١١٢) الآيات: ٢١- ٢٧ من سورة نوح.

(١١٣) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: (٨٧/١٥)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

(١١٤) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: (٢٨٠/٢)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.

(١١٥) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: (٨٧/١٥).

(١١٦) الآية: ٢٢ من سورة الدخان.

(١١٧) ينظر: شهاب الدين الخفاجي، حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوي: (٢٥٢/٨)، بيروت، دار صادر، د.ت.

(١١٨) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢١٣/٢٩).

(١١٩) الآية: ٣٦ من سورة هود.

(١٢٠) الآيات: ٩-١٢ من سورة القمر.

(١٢١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٨٢/٢٧).

(١٢٢) ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب: (٢٩٥/٢٩)، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: (٣٨/١٠)، والسابق: (١٨٢/٢٧).

(١٢٣) الآية: ٢٦ من سورة المؤمنون.

(١٢٤) من الآية: ٢٥ من سورة المائدة.

(١٢٥) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: (٦٢٢/١).

(١٢٦) من الآية: ٨٨ من سورة يونس.

(١٢٧) من الآية: ٨٩ من سورة يونس.

(١٢٨) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (١٢٦/٦).

(١٢٩) ينظر: السابق: (٢٣٢/٣).

(١٣٠) كقوله تعالى: {وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ} [الصافات: ٧٥]، وقوله تعالى في قصة تضرع موسى وابتهاله إلى الله: {رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي} إلى أن أجابه الله بقوله: {قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ} [طه: ٢٥- ٣٦].

(١٣١) من الآية: ٤٧ من سورة هود.

(١٣٢) من الآية: ١٤٩ من سورة الأعراف.

(١٣٣) من الآية: ١٥١ من سورة الأعراف.

(١٣٤) من الآية: ١٥٣ من سورة النساء.

(١٣٥) من الآية: ١٥٣ من سورة النساء.

(١٣٦) من الآيتين: ١٥٥-١٥٦ من سورة الأعراف.

(١٣٧) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، باب ما جاء أنَّ الداعي يبدأ بنفسه، سنن الترمذي: (٥/ ٣٩٤) برقم ٣٣٨٥، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ١٩٩٦م.

(١٣٨) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (٢٤٩/٣).

(١٣٩) الآية: ١١٨ من سورة المؤمنون.

(١٤٠) من الآية: ٤٧ من سورة هود.

(١٤١) من الآية: ٤٥ من سورة هود.

(١٤٢) من الآية: ٤٦ من سورة هود.

(١٤٣) ابن تيمية، دقائق التفسير: (٣٦١/٢)، تحقيق: د. محمَّد السيد الجليند، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ.

(١٤٤) ينظر: محمَّد الرفاعي، التوصّل إلى حقيقة التوسُّل: ص٩٥، بيروت، دار لبنان، ط: الثالثة، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.

(١٤٥) ينظر ما يتصل بهذا في الهامش رقم (١٣٦).

(١٤٦) من الآية: ٢٤ من سورة القصص.

(١٤٧) من الآية: ٨٧ من سورة الأنبياء.

(١٤٨) البيتان لأميَّة بن أبي الصلت في ديوانه: ص١٧، ١٩، جمعه وحقَّقه وشرحه: د.سجيع جميل الجبيلي، بيروت، دار صادر، ط: الأولى، ١٩٩٨م.

(١٤٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (١٣٦/١-١٣٧)، تحقيق: سامي بن محمَّد السلامة، الرياض، دار طيبة، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

(١٥٠) الآيتان: ١٦-١٧ من سورة القصص.

(١٥١) الفرَّاء، معاني القرآن للفراء: (٣٠٤/٢)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمَّد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط: الأولى، د.ت.

(١٥٢) ينظر: أ.د. محمَّد الخمِّيس، شرح الرسالة التدمريَّة: ص٣٨٦، الرياض، دار أطلس الخضراء، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

(١٥٣) ينظر: محمَّد الرفاعي، التوصّل إلى حقيقة التوسُّل: ص٩٥.

(١٥٤) من الآيتين: ٤-٥ من سورة الممتحنة.

(١٥٥) مجاهد، تفسير مجاهد: ص٦٥٥، تحقيق: د. محمَّد عبد السلام أبو النيل، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ= ١٩٨٩م.

(١٥٦) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٠١/٤)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

(١٥٧) من الآيات: ٢٥-٣٥ من سورة طه.

(١٥٨) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (٥٢٤/١٧)، حقَّقه: د. خالد بن عون العنزى، وآخرون، جدة بالمملكة العربيَّة السعوديَّة، دار التفسير، ط: الأولى،١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م، والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ص٦٩٣، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار القلم، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

(١٥٩) عبد القاهر الجرجاني، دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر: (١١٩٦/٣)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، بريطانيا، مجلة الحكمة، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

(١٦٠) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: (١٣/٦).

(١٦١) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: (٣٢٩/٧).

(١٦٢) ينظر: ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح:(٦٠/٨)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، بيروت، دار الوطن، ١٤١٧هـ، وابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: (٤٣٤/٦)، تحقيق: ماهر أديب حبوش، إسطنبول، مكتبة الإرشاد، ١٤٣٩هـ= ٢٠١٨م.

(١٦٣) من الآية: ٣٩ من سورة طه.

(١٦٤) ينظر: د. محمَّد الأمين الخضري، من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنيَّة: ص٦٠، القاهرة، د.ن، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

(١٦٥) من الآيات: ٣٣-٣٤ من سورة القصص.

(١٦٦) من الآيات: ١٢-١٤ من سورة الشعراء.

(١٦٧) الآية: ٨٠ من سورة الإسراء.

(١٦٨) مجاهد، تفسير مجاهد: ص٤٤١.

(١٦٩) ينظر: الرضي الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية: (٢٩٤/٢)، تصحيح وتعليق: أ.د. يوسف حسن عمر، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط: الثانية، ١٩٩٦م.

(١٧٠) ابن القيم، مدارج السالكين في منازل السائرين: (٦٣٠/٢)، حقَّقه: محمَّد أجمل الإصلاحي، وآخرون، الرياض، دار عطاءات العلم، ط: الثانية، ١٤٤١هـ= ٢٠١٩م.

(١٧١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٥٩/١٥)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات العربيَّة والإسلاميَّة بدار هجر، القاهرة، دار هجر، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

(١٧٢) من الآية: ١١٤ من سورة طه.

(١٧٣) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم: (٣٥٦/٢)، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمَّد معوَّض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور زكريَّا عبد المجيد النوبي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

(١٧٤) الآيتان: ٩٣- ٩٤ من سورة المؤمنون.

(١٧٥) يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام: (٤١٤/١)، تقديم وتحقيق: د. هند شلبي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

(١٧٦) الباقلاني، الانتصار للقرآن: (٧٥١/٢)، تحقيق: د. محمَّد عصام القضاة، عَمَّان، دار الفتح، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

(١٧٧) الآيتان: ٩٧- ٩٨ من سورة المؤمنون.

(١٧٨) ينظر: الواحدي، التفسير البسيط: (٥٦/١٦، ٥٩)، تحقيق: د. محمَّد بن صالح بن عبد الله الفوزان، المملكة العربيَّة السعوديَّة، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ.

(١٧٩) الآية: ٢١ من سورة القصص.

(١٨٠) الآية: ٦١ من سورة الزُّمر.

(١٨١) الآية: ٢٢ من سورة القصص.

(١٨٢) الآية: ٢٤ من سورة القصص.

(١٨٣) من الآية: ١١٧ من سورة الشعراء.

(١٨٤) من الآية: ٣٧ من سورة إبراهيم.

(١٨٥) من الآية: ٢٥ من سورة المائدة.

(١٨٦) أ.د. محمَّد أبو موسى، خصائص التراكيب، دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني: ص٩١، القاهرة، مكتبة وهبة، ط: الرابعة، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.

(١٨٧) الآيتان: ٤٥-٤٦ من سورة طه.

(١٨٨) من الآية: ٢٧ من سورة غافر.

(١٨٩) الآية: ٢٠ من سورة الدخان.

(١٩٠) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٢٠/٣١٠-٣١١).

(١٩١) من الآية: ١٤٣ من سورة الأعراف.

(١٩٢) من الآية: ١٤٣ من سورة الأعراف.

(١٩٣) من الآية: ١٤٣ من سورة الأعراف.

(١٩٤) من الآية: ١٤٣ من سورة الأعراف.

(١٩٥) من الآية: ٥٥ من سورة البقرة.

(١٩٦) من الآية: ١٤٣ من سورة الأعراف.

(١٩٧) من الآية: ٢٦٠ من سورة البقرة.

(١٩٨) رواه أحمد في المسند: (٢/ ٤٢٤) برقم ١٨٤٢، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط: الأولى، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م. وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (١/٣٥٢)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٩٩) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٤/ ٦٢٤- ٦٢٨)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن: (١/ ٣٥٦- ٣٥٨)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (١/ ٣٥٢).

(٢٠٠) من الآية: ٢٦٠ من سورة البقرة.

(٢٠١) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: (١/٣٠٨-٣٠٩).

(٢٠٢) من الآية: ٢٦٠ من سورة البقرة.

(٢٠٣) قال الراغب: "البَرَكَة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء... والمُبارَك: ما فيه ذلك الخير". الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ص١١٩، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢٠٤) من الآية: ٢٩ من سورة المؤمنون.

(٢٠٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (١٢/ ١٢٠)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م.

(٢٠٦) ومن أمثلة ذلك أيضًا: قوله –تعالى– لرسوله محمَّد –صلَّى الله عليه وسلَّم–: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الآية: ١١٨ من سورة المؤمنون].

(٢٠٧) الآيات: ٧٧–٨٩ من سورة الشعراء.

(٢٠٨) الرضي الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية: (٢٩٤/٢).

(٢٠٩) كما في قول رسول اللَّهِ –صلَّى الله عليه وسلَّم–: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} [المؤمنون: ١٠]". أخرجه ابن ماجه في كتاب الزُّهْد، باب صفة الجنَّة، سنن ابن ماجه: (١٤٥٣/٢) برقم ٤٣٤١، حقَّق نصوصه ورقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلَّق عليه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

(٢١٠) الاستثناء المنقطع: هو ما كان فيه المستثنى ليس بعضًا من المستثنى منه. ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو:(٢٩٠/١)، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.

(٢١١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: (١٦٨/٨).

(٢١٢) من الآية: ٢٨ من سورة نوح.

(٢١٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢١٥/٢٩).

(٢١٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (١٤٠/١٤).

(٢١٥) الآية: ٤١ من سورة إبراهيم.

(٢١٦) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٢٤٩/٢).

(٢١٧) الآية: ٨٦ من سورة الشعراء.

(٢١٨) ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب: (٥١٦/٢٤).

(٢١٩) الآية: ١٠٠ من سورة الصافات.

(٢٢٠) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: (١٢٦/٣).

(٢٢١) الآية: ٣٩ من سورة إبراهيم.

(٢٢٢) الآية: ٤٠ من سورة إبراهيم.

(٢٢٣) ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: (٢٢٩/٧).

(٢٢٤) ينظر: السابق: (٢٢٩/٧).

(٢٢٥) الآيات: ١٢٧-١٢٩ من سورة البقرة.

(٢٢٦) من الآية: ٣٧ من سورة إبراهيم.

(٢٢٧) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب: (٣٤٥/٢٦).

(٢٢٨) الآيتان: ٣٨-٣٩ من سورة إبراهيم.

(٢٢٩) ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب: (٦٠/٤).

مصادر البحث ومراجعه:

أولًا: الكتب العربيَّة المطبوعة:

*** ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمَّد (ت٦٣٧هـ):**

– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.

*** د. أحمد أحمد بدوي (ت١٣٨٤هـ):**

– من بلاغة القرآن، القاهرة، نهضة مصر، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

*** أ.د.أحمد محمَّد فارس:**

– النداء في اللغة والقرآن، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

*** الأزهري، أبو منصور محمَّد بن أحمد (ت٣٧٠هـ):**

– تهذيب اللغة، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

*** الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت١٢٧٠هـ):**

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

*** أميَّة بن أبي الصلت (ت نحو٨هـ):**

– ديوان أميَّة بن أبي الصلت، جمعه وحقَّقه وشرحه: د.سجيع جميل الجبيلي، بيروت، دار صادر، ط: الأولى، ١٩٩٨م.

*** الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ):**

– الانتصار للقرآن، تحقيق: د. محمَّد عصام القضاة، عَمَّان، دار الفتح، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

*** البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت٥١٦هـ):**

– معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

*** البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ):**

– نظم الدُّرر في تناسُب الآيات والسُّور، خرَّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزَّاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

*** الترمذي، أبو عيسى محمَّد بن عيسى (ت٢٧٩هـ):**

– ســـنن الترمذي، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: بشـــار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ١٩٩٦م.

*** ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ):**

– دقائق التفسـير، تحقيق: د. محمَّد السـيد الجليند، دمشـق، مؤسـسـة علوم القرآن، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ.

– مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمَّد بن قاســم، وســاعده: ابنه محمد، المدينة المنورة بالسعوديَّة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

*** الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ):**

– الكشف والبيان عن تفسير القرآن، حقَّقه: د. خالد بن عون العنزى، وآخرون، جدة بالمملكة العربيَّة السعوديَّة، دار التفسير، ط: الأولى، ١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م.

*** أبو الثناء الأصبهاني، شمس الدين محمود بن عبد الرحمن (ت٧٤٩هـ):**

– بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق: محمَّد مظهر بقا، السعودية، دار المدني، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

*** جلال الدين القزويني، أبو المعالي محمَّد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ):**

– التلخيص في علوم البلاغة، ضـــبطه وشـــرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط: الأولى، ١٩٠٤م.

*** د.جواد ختام:**

– التداولية– أصولها واتجاهاتها، عمان، دار كنوز المعرفة، ط: الأولى، ١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م.

*** ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ):**

– زاد المسير في علم التفسير، بيروت، دار الكتاب العربي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

*** ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت٢٤١هـ):**

– المسند، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط: الأولى، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.

*** أبو حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف بن علي (ت٧٤٥هـ):**

– البحر المحيط في التفسـير، تحقيق: صـدقي محمَّد جميل، وزهير جعيد، وعرفان العشـا حسّـونة، بيروت، دار الفكر، ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م.

*** الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم (ت٣٨٨هـ):**

– شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط: الثالثة، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

* **الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ):**

– المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

* **الرضي الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ):**

– شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: أ.د. يوسف حسن عمر، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط: الثانية، ١٩٩٦م.

* **ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ت٧٠٨هـ):**

– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمَّد علي الفاسي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، د.ت.

* **الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ):**

– البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط: الأولى، ١٣٧٦هـ= ١٩٥٧م.

* **الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ):**

– تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصحَّحه ورتَّبه: مصطفى حسين أحمد، القاهرة، دار الريان للتراث، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

* **ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (ت٣١٦هـ):**

– الأصول في النحو، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.

* **أبو السعود، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ):**

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

* **السكَّاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمَّد (ت٦٢٦هـ):**

– مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

* **السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (ت٣٧٣هـ):**

– بحر العلوم، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمَّد معوَّض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور زكريَّا عبد المجيد النوبي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

* **سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ):**

– كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

*** السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ):**

– معترك الأقران في إعجاز القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

*** الشنقيطي، محمَّد الأمين بن محمَّد المختار (ت١٣٩٣هـ):**

– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

*** شهاب الدين الخفاجي، أحمد بن محمَّد بن عمر (ت١٠٦٩هـ):**

– حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوي، بيروت، دار صادر، د.ت.

*** الشوكاني، محمَّد بن علي بن محمَّد (ت١٢٥٠هـ):**

– فتح القدير، دمشق، دار ابن كثير، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

*** أ.د. صلاح فضل (ت١٤٤٤هـ):**

– بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.

*** الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ):**

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحســـن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات العربيَّة والإسلاميَّة بدار هجر، القاهرة، دار هجر، ط: الأولى، ١٤٢٢هـــ= ٢٠٠١م.

*** ابن عاشور، محمَّد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ):**

– التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤هـ.

*** عبد الرحمن السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت١٣٧٦هـ):**

– تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

*** عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (ت١٤٢٥هـ):**

– البلاغة العربية، دمشق، دار القلم، ط: الأولى، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.

*** أ.د.عبد الفتاح لاشين:**

– المعاني في ضوءِ أساليب القرآن الكريم، عمان، المكتبة الأموية، ط: الرابعة، ١٩٨٣م.

***عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـ):**

– دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح

الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، بريطانيا، مجلة الحكمة، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

*** أ.د.عبد الله خضر حمد:**

– الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، بيروت، دار القلم، ط: الأولى، ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م.

*** د.عبد المجيد جحفة:**

– مدخل إلى الدلالة الحديثة، الدار البيضاء، دار توبقال، ط: الأولى، ٢٠٠٠م.

*** ابن العربي، أبو بكر محمَّد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ):**

– أحكام القرآن، راجع أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: محمَّد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ= ٢٠٠٣م.

*** ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت٥٤٢هـ):**

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

*** أ.د. فاضل صالح السامرائي:**

– لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، عمان، دار عمار، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

*** فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن (ت٦٠٦هـ):**

– مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

*** الفرَّاء، أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله (ت٢٠٧هـ):**

– معاني القرآن للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمَّد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط: الأولى، د.ت.

*** القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ):**

– الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م.

*** ابن القيم، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ):**

– بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

– مدارج السالكين في منازل السائرين، حقَّقه: محمَّد أجمل الإصلاحي، وآخرون، الرياض، دار عطاءات العلم، ط: الثانية، ١٤٤١هـ= ٢٠١٩م.

*** ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ):**

– تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمَّد السلامة، الرياض، دار طيبة، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

*** ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان (ت٩٤٠هـ):**

– تفسير ابن كمال باشا، تحقيق: ماهر أديب حبوش، إسطنبول، مكتبة الإرشاد، ١٤٣٩هـ= ٢٠١٨م.

*** ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت٢٧٣هـ):**

– سنن ابن ماجه، حقَّق نصوصه ورقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلَّق عليه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

*** مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر (ت١٠٤هـ):**

– تفسير مجاهد، تحقيق: د. محمَّد عبد السلام أبو النيل، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ= ١٩٨٩م.

*** أ.د. محمَّد بن عبد الرحمن الخمِّيس:**

– شرح الرسالة التدمريَّة، الرياض، دار أطلس الخضراء، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

*** محمَّد أبو زهرة، محمَّد بن أحمد بن مصطفى (ت١٣٩٤هـ):**

– زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، د.ت.

*** أ.د. محمَّد الأمين الخضري (ت١٤٤٠هـ):**

– من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنيَّة، القاهرة، د.ن، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

*** د.محمَّد الشاوش:**

– أصول تحليل الخطاب– في النظريَّة النحويَّة العربيَّة، تونس، المؤسسة العربيَّة للتوزيع، ط: الأولى، ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.

*** أ.د. محمَّد محمَّد أبو موسى:**

– خصائص التراكيب، دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني، القاهرة، مكتبة وهبة، ط: الرابعة، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.

*** محمَّد نسيب الرفاعي (ت١٤١٣هـ):**

– التوصّل إلى حقيقة التوسُّل، بيروت، دار لبنان، ط: الثالثة، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.

*** أ.د. مسعود صحراوي:**

– التداوليَّة عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلاميَّة" في التراث اللساني العربي، بيروت، دار الطليعة، ط: الأولى، ٢٠٠٥م.

*** أبو المظفر السمعاني، منصور بن محمَّد بن عبد الجبار (ت٤٨٩هـ):**

– تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن، ط: الأولى، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

*** ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمَّد (ت٢٩٦هـ):**

– البديع في البديع، بيروت، دار الجيل، ط: الأولى، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

*** مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ):**

– تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

*** ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمَّد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ):**

– لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت، دار صادر، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.

*** د.نرجس باديس:**

– المشيرات المقاميَّة في اللغة العربيَّة، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٩م.

*** النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمَّد بن حسين (ت٨٥٠هـ):**

– غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

*** ابن هبيرة، يحيى بن محمَّد (ت٥٦٠هـ):**

– الإفصاح عن معاني الصحاح، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: د.فؤاد عبد المنعم أحمد، الرياض، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

*** أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ):**

– الفروق اللغويَّة، حقَّقه وعلَّق عليه: محمَّد إبراهيم سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة، د.ت.

*** الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ):**

– التفسير البسيط، تحقيق: د. محمَّد بن صالح بن عبد الله الفوزان، المملكة العربيَّة السعوديَّة، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ.

– الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار القلم، ط: الأولى، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

*** يحيى بن سلَّام بن أبي ثعلبة (ت٢٠٠هـ):**

– تفسير يحيى بن سلَّام، تقديم وتحقيق: د. هند شلبي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

*** ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي (ت٦٤٣هـ):**

– شرح المفصَّل للزمخشري، قدَّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

ثانيًا: الكتب الأجنبية المترجمة:

*** فرانسواز أرمينكو:**

– المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، الرباط، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٧م.

ثالثًا: الرسائل الجامعيَّة:

*** ريان محمَّد علي:**

– دعاء الأنبياء والرسل في القرآن الكريم: دراسة موضوعيَّة في أولي العزم من الرسل، مخطوط ماجستير بكلية الآداب، جامعة النيلين بالسودان، ٢٠١٦م.

رابعًا: الدوريات العربيَّة:

*** د. زينب السر عثمان:**

– الإعجاز الدعوي للدعاء من خلال القرآن الكريم: دعاء الأنبياء نموذجًا، جامعة أم درمان الإسلاميَّة، مجلة معالم الدعوة الإسلاميَّة، ع١٦، ديسمبر ٢٠٢٢م.

*** د. عبد الرحمن بن رجاء الله السلمي:**

– دعاء الأنبياء في القرآن الكريم: دراسة بلاغيَّة تحليليَّة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنيَّة بمعهد الإمام الشاطبي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنيَّة، مج٥، ع١٠، سنة ٢٠١٠م.